



تاريخ القبول: 2022/07/25

تاريخ الاستلام: 2022/06/12

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تتبع، وتقصي مختلف مراحل الحملة العسكرية الفرنسية على الجزائر سنة 1830 (التحضيرات والاستعدادات - الركوب، وعبور البحر - الإبرار البحري على شاطئ سيدي فرج - احتلال الأرض) والتعرف على الاجراءات والتدابير العسكرية المنفذة من طرف الجيش الجزائري لمنع الإبرار البحري، والتصدي للغزو الفرنسي. والدراسة العسكرية لمسار العمليات، ثم تحليل نتائج المعارك وتأثيراتها على سقوط الجزائر، ثم احتلالها.

الكلمات المفتاحية:

الحملة الفرنسية، احتلال الجزائر. الداوي حسين.

Abstract

This study aims to follow and investigate the different stages of the French military campaign against Algeria in the year 1830 (preparations - embarkation and crossing the sea - the landing at sea on the beach of Sidi Faraj - land occupation), and identify the military procedures and measures implemented by the Algerian army to prevent the landing and counter the French invasion. In addition, the military study of the course of operations, and then analyze the results of the battles and their effects on the fall of Algeria, and its occupation.

Keywords:

The French campaign, The occupation of Algeria, Dey Hussein.

الحملة الفرنسية على الجزائر سنة 1830 - دراسة عسكرية-

French Campaign on Algiers 1830 -A Military Study

المؤلف:

العقيد المتقاعد بوذراع أحمد

البلد:

الجزائر

البريد الإلكتروني:

meriamou35@yahoo.fr

المؤلف المرسل: العقيد المتقاعد بوذراع أحمد

الإيميل: meriamou35@yahoo.fr



قال الله عز وجل: { وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ، وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا } الآية 104 من سورة النساء.

مقدمة

أعلنت فرنسا الحرب على الجزائر في يوم 16 جوان 1827، وكان التطبيق الفعلي لهذا الاعلان من خلال فرض حصار بحري على الجزائر دام ثلاث سنوات، تناوبت على تنفيذه أكثر من خمسين (50) سفينة حربية، وقد وقعت عدة محاولات لكسر هذا الحصار الجائر، حدثت خلالها عدة معارك واشتباكات بين البحارة الجزائريين، والقوات البحرية الفرنسية، لم تسفر عن نتائج حاسمة لأي من الطرفين المتحاربين.

بعد هذا الحصار، فكرت القيادة السياسية والعسكرية الفرنسية في الانتقال إلى مرحلة أخرى، تجسدت في تجهيز حملة عسكرية لاحتلال الجزائر، خاصة بعد أن حصلت على موافقة أغلب الدول الأوروبية على مشروعها، بل أن بعضها قدم لها المساعدات والتسهيلات مثل اسبانيا التي سمحت باستعمال الأسطول الفرنسي لموانئها، كما وضعت تحت تصرفها مستشفى عسكري في مدينة ماهون بجزر البليار لمعالجة المصابين، والمرضى.

إن الدراسة العسكرية للحملة الفرنسية سنة 1830، وتتبع مختلف مراحلها، ونتائجها، وبالمقابل دراسة الاستعدادات العسكرية للطرف الجزائري، وخوضه لعدة معارك واشتباكات لصد الغزاة المحتلين، دعتنا إلى طرح مجموعة من الأسئلة على شاكلة:

- ما هي الامكانيات البشرية والمادية التي حشدتها الحملة العسكرية الفرنسية؟

- ما مدى فعالية الاستعدادات العسكرية للطرفين المتنازعين؟

- ما هي قدرات الجيش الجزائري القتالية في مقابل جيش الحملة الفرنسي؟

- ما هي الأساليب المتبعة في المعارك والاشتباكات العسكرية خلال مختلف مراحل الحملة؟

- هل كانت القيادة السياسية والعسكرية الجزائرية في مستوى إدارة الحرب؟

للإجابة على هذه التساؤلات ارتأينا تقسيم خطة البحث إلى عدة عناصر، حيث بدأنا بإعطاء نظرة عن الظروف السياسية والجيو-استراتيجية التي كانت سائدة في تلك الفترة، مع تقديم معلومات عن العلاقات بين الجزائر وفرنسا طرفي النزاع، وقواتهما العسكرية، ثم تسليط الضوء على استعداداتها، وتبعنا بعدها مختلف أطوار الحملة العسكرية، وما وقع خلالها من معارك واشتباكات، وأخيرا عرضنا النتائج التي استخلصناها من هذه الدراسة. للإحاطة بمختلف جوانب هذا البحث استعنا بمصادر، وكتابات جزائرية، وفرنسية عايشت أحداث تلك الفترة، كما قمنا بإنجاز خرائط عسكرية، ومخططات لمزيد من الشرح والتوضيح.

أولا: الوضعية الجيو-سياسية، والجيو- استراتيحية:

1- الموقع الجغرافي للجزائر:

تحتل الجزائر موقعا متميزا وهاما، حيث أنها تتوسط إيالات طرابلس، وتونس، والمملكة المغربية، بالإضافة إلى قربها من أوروبا، فهي تمثل همزة وصل بين أوروبا وإفريقيا، ويشهد التاريخ أن هذه المكانة جعلت الجزائر محل أطماع الامبراطوريات، والممالك عبر التاريخ، مما فرض على الجزائر وشعبها التصدي لهؤلاء الغزاة بسلسلة من المقاومات والكفاح للدفاع عن خيراتها وموقعها المتميز.



إن طول الساحل الجزائري وقربه من أوروبا، التي كانت أساطيلها الحربية والتجارية تجوب عباب البحر الأبيض المتوسط، فرض على الجزائر أن تتوفر على قوات بحرية تتلاءم وحجم التهديدات، والمخاطر التي يشكلها العدو المحتمل، وتكون قادرة على صد أي عدوان على أي اتجاه.

تنقسم الجزائر جغرافيا إلى إقليمين متباينين، الإقليم التلي الشمالي وهو يشغل جزء قليل من المساحة الإجمالية، يتميز بالطبيعة والمناخ المتوسطي، والإقليم الصحراوي الجنوبي الذي يشغل الجزء الأكبر من المساحة الكلية، وهو عبارة عن صحاري تكاد تكون خالية من السكان، الذين كان يبلغ عددهم في عاصمة الإيالة حوالي 100 ألف نسمة في سنة 1830⁽¹⁾.

2 - نظام الحكم في إيالة الجزائر:

يأتي على رأس هرم السلطة الداوي حسين، الذي هو رئيس الدولة، والقائد الأعلى للجيش في البلاد، له سلطة تطبيق القوانين المدنية والعسكرية، والإشراف على حصون المدينة وتنظيم الجيوش، ومراسلة القبائل المختلفة قصد التهذئة والمحافظة على الأمن، من صلاحياته تعيين الوزراء وغيرهم من أعضاء حاشيته، وتوقيع المعاهدات، استقبال السفراء المعتمدين لدى الجزائر⁽²⁾

يساعد الداوي في ممارسة الحكم عدد من المجالس والوزراء. هناك ديوانان: عادي، ويضم عددا عن المستشارين الكبار، والديوان الأعظم الذي كان أعضاؤه من كبار الضباط.

وإلى جانب الدواوين والوزارات كانت هناك وظائف أخرى هامة مثل الكتاب أو الخواجات ووظائف القواد، ومهمتهم جمع الضرائب، والحفاظ على الأمن في المنطقة التي تعود إليه وتمثيل السلطة المركزية⁽³⁾.

3-التقسيم الاقليمي والاداري في الجزائر:

إيالة الجزائر أو "دار السلطان" كما كانت تسمى، تشمل مدينة الجزائر والساحل وسهل متيجة. وكانت الجزائر تنقسم إداريا إلى ثلاثة أقاليم: إقليم قسنطينة. وإقليم وهران، والتيطري. وكانت الوحدة الإدارية هي القبيلة التي كانت في العادة تحت سلطة شيخ القبيلة الذي يخضع بدوره إلى قائد من أصل تركي أو كرغلي، وأهمها قبائل المخزن المتحالفة مع السلطة المركزية وتمدها بالمال والرجال عند قيامها بحملات عسكرية سواء داخليا أو خارجيا⁽⁴⁾.

يوجد في كل مدينة حاكم ثان يختار من بين الأسر الشريفة التي تنتهي إلى أحد المرابطين. ويسمى هذا الشخص نقيب الأشراف، وواجبه كلما حدث أمر هام، أن يجمع في بيته شيخ البلدة وسائر الأمناء التابعين له للبحث عن التدابير التي يجب اتخاذها⁽⁵⁾.

4-البنية الاجتماعية والاقتصادية في الجزائر:

كان يعيش في إيالة الجزائر عدة أجناس بشرية، يأتي في مقدمتهم الأتراك بحكم سيطرتهم على أجهزة الحكم والسلطة، ثم الكراغلة الذين ولدوا من أبناء أتراك وأمهات جزائريات، ثم الحضر وهم طبقة غنية منحدره من أهل البلاد ومن مهاجري الأندلس⁽⁶⁾.

ثم العرب، والأمازيغ وهم أغلبية السكان، يقيمون في المناطق الداخلية، ويشغلون بالرعي والزراعة، بالإضافة إلى أقليات من اليهود والمسيحيين.

كان الإسلام هو الدين الرسمي في البلاد، وكان المرابطون وشيوخ الزوايا يتمتعون باحترام كبير من طرف السكان، كانت العربية هي لغة الجمهور، والتركية لغة الحكومية، وكان التعليم يتم باللغة العربية وحدها.



أما عن الحياة الاقتصادية للجزائر فكان يغلب عليها الطابع الزراعي الرعوي، كانت السلطة التركية وكبار التجار يمارسون صناعة السفن، والسلاح، والمطاحن، والمحاجر، بينما الطبقة المتوسطة كانت تمارس بعض الحرف المهنية اليسيرة، والقليلة التي جلبها معهم المسلمون الفارين من الأندلس، أو اليهود والمسيحيين،

5- العلاقات الدبلوماسية، والمتغيرات الدولية:

في عهد الداوي حسين، تحسنت العلاقات الجزائرية التونسية، ونفس الأمر حدث مع المملكة المغربية وإيالة طرابلس، أما العلاقات مع الدول الأجنبية فكانت تتباين من دولة لأخرى. كما حافظت على علاقات وطيدة، ومتميزة مع سلاطين الباب العالي، لفرض هيبة الخلافة العثمانية عالميا، والدولة الجزائرية على حوض البحر المتوسط.

في نهاية القرن الثامن عشر، ومطلع القرن التاسع عشر، بدأت المتغيرات السياسية والجيو استراتيجية تفرض نفسها (مؤتمر فيينا سنة 1815 م) باتجاه عالمية العلاقات، وحماية التجارة، والقضاء على القرصنة، ووضع حد لتجارة الرقيق في شمال إفريقيا وإقامة التكتلات الإقليمية، والقارية، مثل تحالف الدول الأوروبية ضد الجزائر.

هذه السياسة الجديدة، والممارسات الخارجية التي حددتها القوى الأوروبية الفاعلة في هذا المشهد أثناء انعقاد مؤتمر إكس لاشابيل (1818 م) الذي صدر عنه قرارات تؤكد على أن كل نيل أو مساس بتجارة إحدى الدول الأوروبية من طرف البحرية الجزائرية، يؤدي إلى استعمال القوة من طرف الدول الأوروبية المتحالفة ضدها، وإجبارها على عدم مهاجمة السفن الحربية والتجارية للدول الأوروبية التي تعبر مياه البحر الأبيض المتوسط،⁽⁷⁾

بعث المؤتمر وفدا يتألف من ممثلين عن بريطانيا وفرنسا إلى الجزائر لتوجيه إنذارات جدية بأن استمرارها على نظام القرصنة ستكون له آثار وخيمة، يجدر بها التفكير في نتائج سياستها، وتصرفاتها التي قد تمس وجودها نفسه.⁽⁸⁾

هذه التطورات تركت آثارها السلبية في الجزائر، حيث بدأت بوادر تدهور الأوضاع السياسية والاقتصادية تلوح بعد تجريد الخزينة من دخلها الأساسي الناتج عن قلة الغنائم، والإتاوات، والرسوم، فأصبحت خزينة إيالة شبه فارغة. مما أدى إلى ضعف صناعة السفن، بعدما تناقص حجم التجهيزات التي كانت تقدمها الدول الأوروبية مثل الحبال، والأخشاب والأشربة، كما أدى نقص الأموال، إلى عدم قدرة الدولة على دفع مرتبات الجنود.

6- العلاقات الجزائرية الفرنسية:

شهدت فترة حكم نابليون بونابرت إعداد مشاريع للهجوم على الجزائر، واحتلالها، من أشهرها مشروع الرائد بوتان من سلاح الهندسة العسكرية سنة 1808، وبدرجة أقل مشروع ديبوا تانفيل الثاني سنة 1809 م، لكن هذه المشاريع بقيت حبيسة الأدراج بسبب انشغال نابليون بحروبه في أوروبا⁽⁹⁾، بعد عودة النظام الملكي في فرنسا ممثلا في أسرة آل بربون بدعم من حكام أوروبا إثر مؤتمر فيينا 1815 م، استغل الحكام الجدد ظروف وأثار الحملة العسكرية البحرية الانجليزية ضد الجزائر التي كانت تحت قيادة اللورد إكسموث عام 1816 م، بالسعي لعودة العلاقات بين الجزائر وفرنسا، وخاصة من جانب الامتيازات الاقتصادية⁽¹⁰⁾.

فرضت فرنسا حصارا بحريا، تضرر منه الطرفان الفرنسي والجزائري، من الجانب الفرنسي التكاليف المالية، والمادية الباهظة دفعت بفرنسا للبحث عن حلول للأزمة، وإعادة النظر في سياستها نحو الجزائر، أما الطرف الجزائري فقد أضر به الحصار كثيرا، فالتبادل التجاري مع أوروبا أصبح مشلولًا تماما، وسجل ارتفاع كبير في أسعار المواد داخل الأسواق المحلية للمدينة مما أدى إلى تدهور الأوضاع الداخلية، وزاد في تدمير وقلق السكان. عندما تولى بولينياك رئاسة الوزارة



الفرنسية في عهد الملك شارل العاشر رأى أن الفرصة سانحة للقيام بحملة عسكرية على الجزائر، حيث أقنع الملك شارل العاشر بفكرة احتلال الجزائر.

7-القوة العسكرية والتحصينات الجزائرية:

تعتبر القوة العسكرية هي القاعدة التي يرتكز عليها نظام الحكم العثماني بالجزائر، لمواجهة المخاطر، والتهديدات الداخلية والخارجية، والتصدي للهجمات، والتحرشات التي كانت تتعرض لها من طرف أساطيل الدول الأوروبية، ومن أمريكا.

كانت القوة العسكرية في الجزائر، تشمل سلاحين أساسيين، هما السلاح البري، والسلاح البحري.

1.7-السلاح البري:

يضم الجيش النظامي، ويتشكل من فرقة الإنكشارية (عدددهم حوالي 10 آلاف جندي) ⁽¹¹⁾ ومن فرقة "الطوبجية" أو "المدفعية" (حوالي 2000 جندي) كانت مكلفة بالدفاع عن السواحل الجزائرية، وأسوار المدينة. يعتبر الجيش النظامي القوة الضاربة للقوات الجزائرية، بحكم كثرة أعدادها، وحسن تدريبها، واحترافيتها، وتمرسها على فنون الحرب. الجيش الاحتياطي الذي يضم فرقة من الكراغلة (عدددهم حوالي 5 آلاف جندي) ⁽¹²⁾ ثم فرسان "الصبايحية" الذين يحسنون ركوب الخيل، وعدددهم قليل جدا، بالإضافة إلى فرق أخرى تضم جنود قبائل زواوة، وجنود قبائل المخزن التي كانت دائمة الاستعداد للعمل العسكري كلما دعاهم الداي إلى ذلك.

أما عن تعداد الجيش البري (النظامي والاحتياطي)، فما عدا الاحصائيات المتعلقة بالجيش الإنكشاري، وأفراد المدفعية، والجنود الكراغلة، نظرا لوجود قوائم الجنود، والسجلات الأرشيفية المتعلقة بالأجور، فقد تضاربت المصادر التاريخية حول أعداد باقي القوات، رغم اتفاقها على تركيبها البشرية، وهيكلتها النظامية، وربما يعود الأمر إلى أن أعداد الجيش الاحتياطي من فرسان العرب، وقبائل زواوة، وقبائل المخزن غير منظمة، وغير منتظمة بصفة مستقرة، ويختلف عددها في كل مرة تستجيب فيه لنداء التعبئة الصادر عن الداي حسين، كما يتوقف عددهم في كل مرة على حسب جاهزيتهم، وظروف استعدادهم، وتحضيرهم المسبق.

2.7-البحرية الجزائرية:

اهتمت الإيالة الجزائرية بالجيش البحري، وتجهيزه بأسطول من السفن والمدفعية الملائمة، لأنه كان يمثل رمز هيبية، وسيادة الدولة، وأساس قوة الجزائر العسكرية في البحر الأبيض المتوسط، وكان قائد الأسطول البحري الجزائري، ورياس البحر، وقادة السفن يحضون بمكانة هامة، واحترام كبير لدى الداي حسين، ورجال السلطة، وكذلك في أوساط السكان الجزائريين ⁽¹³⁾.

وصف الرائد بوتان (Boutin) البحرية الجزائرية بأنها هي الطرف الأقوى في الجيش الجزائري، وذكر أن لديها أسلحة معتبرة، تقدر ب 180 قطعة مدفعية، منها ذات العيار الثقيل 36، و48، وحتى عيارات أكبر مركبة فوق السفن الحربية، كما أن لديها قطع مدفعية في الطابق الأرضي للأميرالية محصنة بصفة جيدة ⁽¹⁴⁾.

أعد ألبير دوفو محافظ الأرشيف العربي في الجزائر، وعضو مؤسس للجمعية التاريخية الجزائرية، قائمة بأسماء السفن التي تكون الاسطول الجزائري بالاستناد إلى وثائق أرشيفية، كما يلي:

- 3 فرقاطات: 1 من 62 مدفع تسمى: مفتاح الجهاد (كانت في الاسكندرية منذ ثلاث سنوات، حتى احتلال الجزائر)،
1 من 50 مدفع تسمى: بلحواس أو الطولونية، 1 من 40 مدفع تسمى: رهبر اسكندرية " le guide d'Alexandrie " (كانت في
الاسكندرية من سنة 1827م، حتى احتلال الجزائر)

- 3 كورفيت : 1 من 40 مدفع تسمى الفاسية، 1 من 36 مدفع تسمى: مشعل التوفيق " l'objet de la protection divine ". 1 من 24 مدفع تسمى: قارة " la noire".

- 2 بريك من 16 مدفع، واحدة: تسمى نعمة الهدى.

- بولاكر من 20 مدفع

- 5 غولات: 1 ذات 3 صواري من 24 مدفع: تسمى المنصور، و: نصر الاسلام 1 من 16 مدفع تسمى: الفتح، 2 من 14

مدفع، واحدة تسمى: شاهين ديريا " la terreur des mers " والأخرى تسمى: غزلان « la Gazelle » 1 من 12 مدفع تسمى: الثريا

- 2 شيباك : 1 من 10 مدافع، 1 من 4 مدافع

المجموع: 16 سفينة، و398 قطعة مدفعية⁽¹⁵⁾.

قبل الحملة الفرنسية، كان تنظيم وتسليح سفن البحرية الجزائرية يعتبر قديما، ومتخلفا مقارنة بما أصبحت عليه أساطيل الدول الأوروبية، والولايات المتحدة الأمريكية التي بدأت تعتمد على الأساليب المتطورة، والابتكارات العلمية، فأدخلت ضمن أساطيلها السفن البخارية التي تتمتع بالسرعة الكبيرة، والمناورة العالية، وقوة التحمل، كما جهزت سفنها بأنواع جديدة من المدافع الطويلة المدى، وذات التأثير القتالي الفعال، وهذا التفوق حسب رأينا - إضافة إلى الأضرار التي لحقت به خلال الحصار الفرنسي - هو السبب في عدم مشاركة الأسطول الجزائري في الدفاع عن السواحل الجزائرية، وعدم دخوله في أي معركة منذ بداية الإبرار البحري يوم 14 جوان حتى قبلة مدينة الجزائر من يوم 1 إلى 4 جويلية.

3.7 - الحصون والقلاع:

شيدت حول مدينة الجزائر عدة حصون وقلاع، كما بنيت أبراج في المناطق الاستراتيجية، أو الجهات التي من يحتمل أن يقوم العدو بغزو البلاد منها، خاصة تلك البعيدة نوعا ما عن المدينة، مثل برج كاب ماتيفو [برج البحري حاليا]، وبرج تامنتفوست، وبرج الكيفان، وسيدي فرج⁽¹⁶⁾.

الحصون التي كانت تحمي الجزائر بصفة مباشرة هي:

- حصن باب عزون من الناحية الجنوبية الشرقية، مع عدة بطاريات مدفعية مقابل شاطئ الأغا [قريبا من حديقة التجارب بالحامة حاليا]

- الحصن الجديد، وحصن 24 ساعة في الشمال، وقد انتشرت عدة مدافع بين الحصنين

- حصن قلعة الفول (حصن الانجليز)، توزعت مجموعة من بطاريات المدفعية بين بطارية سان أوجين والمطحنتان،

- حصن مرسى الذبان (بوانت بيسكاد)⁽¹⁷⁾ على شكل حدة حصان، فتحات الرمي في جدرانها مرتفعة، وقد شيد على صخرة جبلية.⁽¹⁸⁾

- حصن الأبراطور وهو بناء قوي وعالي، على شكل شبه المنحرف، وأمامه برج صغير محصن. كان الأتراك في الجزائر

يجهلون فن الحصار، ولكن كانت ثقتهم مطلقة في أسوار القصبية وفي حصن الإمبراطور⁽¹⁹⁾

8 -دراسة طوبوغرافية لأراضي منطقة العمليات



قمنا بإعداد الدراسة الطبوغرافية لمنطقة العمليات من شاطئ سيدي فرج الى مشارف حدود مدينة الجزائر، من خلال قراءتنا الشخصية لخرائط تلك الفترة المتوفرة لدينا والتي تحصلنا عليها من الأرشيف الفرنسي، فوجدنا: سيدي فرج عبارة عن شبه جزيرة تمتد نحو البحر على مسافة 2 ميل بحري، لا توجد نتوءات وانكسارات كبيرة بالطبيعة الجغرافية لساحل سيدي فرج، يوجد على مستوى خليج سيدي فرج حوضان كبيران، أحدهما في الجهة الغربية، والأخر في الجهة الشرقية، ويتميزان بمياههما العميقة القريبة من اليابسة التي تعطي إمكانية رسو السفن، والبواخر خاصة في فترة الصيف، وخلال ظروف الطقس الجميلة، وهدوء البحر، ويصلح شاطئ سيدي فرج للإبرار البحري أيضا، أما الشاطئ فهو رملي لا يساعد على إقامة التحصينات، أو تحرك العربات والعتاد، غير أنه يوجد في الجهة الشرقية من خليج سيدي فرج مرتفع صغير، حيث شيد المسجد وزاوية المرابط، وهو المكان الذي اختارته قيادة الحملة الفرنسية لإنشاء المخيم العسكري، ومراكز القيادة.

تندرج الأرض من سيدي فرج إلى سطاوالي بين الارتفاع والانخفاض بشكل غير متساوي، تتخللها الكثبان الرملية التي تقل كلما اتجهنا شرقا، والتلال المنخفضة، الغطاء النباتي في المنطقة تمثله كتلة كثيفة من الشجيرات دائمة الخضرة، وبعض أشجار النخيل القصيرة، والأحراش، والنباتات الرعوية، يوجد طريق متعرج، وضيق، ينطلق من زاوية ومسجد سيدي فرج إلى هضبة سطاوالي. تتوفر المياه بكثرة في المنطقة الممتدة من سيدي فرج إلى سطاوالي، حيث توجد العديد من المجاري المائية والجداول التي تصب في الوديان الكبيرة، أو في البحر.

أما سطاوالي فهي منطقة جرداء من الأشجار، أرضها مكسوة بالنباتات الرعوية، لا يوجد فيها منازل، وهي خالية من السكان، طبيعة الأرض تصلح لإنشاء التحصينات الهندسية، خاصة المواقع الدفاعية، ومرابض المدفعية، والحفر الفردية للرمي. غير بعيد عن سطاوالي بحوالي خمسة كيلومترات بنيت قبة على قبر أحد الأولياء اسمه " سيدي خالف "، وبجنبه مقبرة لدفن موتى المسلمين من تلك الجهة، توجد منازل قليلة متفرقة بتلك المنطقة، وهي منطقة سهلة تسيل فيها المياه بغزارة. بين سيدي خالف والشرافة تنتشر المراعي، ويقوم الناس بزراعة قطع أرضية صغيرة، كما يقومون بتربية المواشي.

كلما اتجهنا شرقا ناحية الجزائر، ازدادت المرتفعات، وكثرت المنحدرات الشديدة الصعبة، والشعاب، كما توجد البساتين التي تزرع فيها الأشجار المثمرة، ونبات العناب، مع توفر الأراضي المفتوحة في بعض المحاور، لكنها قليلة. خاصة عند سفوح جبل بوزريعة الذي يطل على غرب خليج الجزائر، وعلى سهل متيجة، بعدها تأتي منطقة الأبيار التي تمتد حتى حصن الإمبراطور. توجد الكثير من المنابع المائية التي تتجمع في أحواض طبيعية، تشق هذه المنطقة طريق رومانية قديمة، صالحة لسير العربات تتجه إلى الجزائر. هذه المنطقة تعطي ميزة المراقبة، والإخفاء، وتوفر هيئات حاكمة، ومرتفعات مناسبة لنصب المدافع، وإنشاء نقاط ملاحظة، وإنذار.

ثانيا: الاستعدادات، والتحضيرات العسكرية للطرفين:

1 - الاستعدادات، والتحضيرات الفرنسية

بعد إمضاء الملك شارل العاشر يوم 11 أبريل 1830 لمرسوم تعيين الجنرال دو بورمون قائدا للحملة العسكرية، والأميرال دو بييري قائدا للأسطول⁽²⁰⁾. انطلقت بعدها مباشرة التحضيرات التي أشرفت عليها وزارة الحرب الفرنسية، فصدرت الأوامر بتجميع كل السفن الحربية، وسفن النقل في ميناء طولون، والشروع في تشكيل الوحدات العسكرية لمختلف الأسلحة (المشاة - الفرسان - المدفعية - الهندسة العسكرية) ووحدات الدعم والاسناد اللوجستيكي (العتاد- التموين- الصحة - النقل - المالية..).

من بين التعليمات التي أصدرتها وزارة الحرب " اختيار العساكر ذوي الخبرة والتجربة الميدانية من الذين شاركوا في الحملات العسكرية السابقة، وطلب من قادة الوحدات استبعاد أي عسكري لا تتوفر فيه اللياقة البدنية، ولا يستطيع تحمل مشاق الميدان"⁽²¹⁾.

في نهاية شهر أبريل، تم نقل كل الوحدات المشاركة في الحملة إلى ثكنات في مدينة طولون وضواحيها، والمدن القريبة منها، ليشروعوا في إجراء التدريبات حول الرمي، وتصحيح الرمي، وكيفية مواجهة الفرسان.⁽²²⁾

كما شملت التدريبات كيفية صد هجومات الفرسان، وحماية الحد الأمامي، والجمهية، والأجناب بواسطة الحواجز الهندسية المتحركة، وأحسن الطرق وأسرعها لتشكيل المربعات القتالية.⁽²³⁾

في نفس الوقت كان يتم تحضير وتجهيز سفن التحميل، وتجهيز الأرصفة وتدريب الأطقم على العمل في مختلف الظروف الجوية، وتجهيز زوارق الإبرار البحري، وإجراء التدريبات والمناورات المختلفة لبلوغ المستوى المقبول.

عند نهاية التحضيرات، والإعلان عن جاهزية الحملة، صدرت الأوامر بتحضير وإعداد فرقة عسكرية احتياطية لاستعمالها في حالة حدوث أمور غير متوقعة، وقد تم تجميعها في لابروفانس تحت قيادة العميد الفيكونت فيزوناسك (Vicomte de fezensac)⁽²⁴⁾

1.1 - القوات العسكرية للحملة الفرنسية

تشكلت قيادة الحملة العسكرية من الضباط الألوية، والعمداء التالية أسماؤهم:

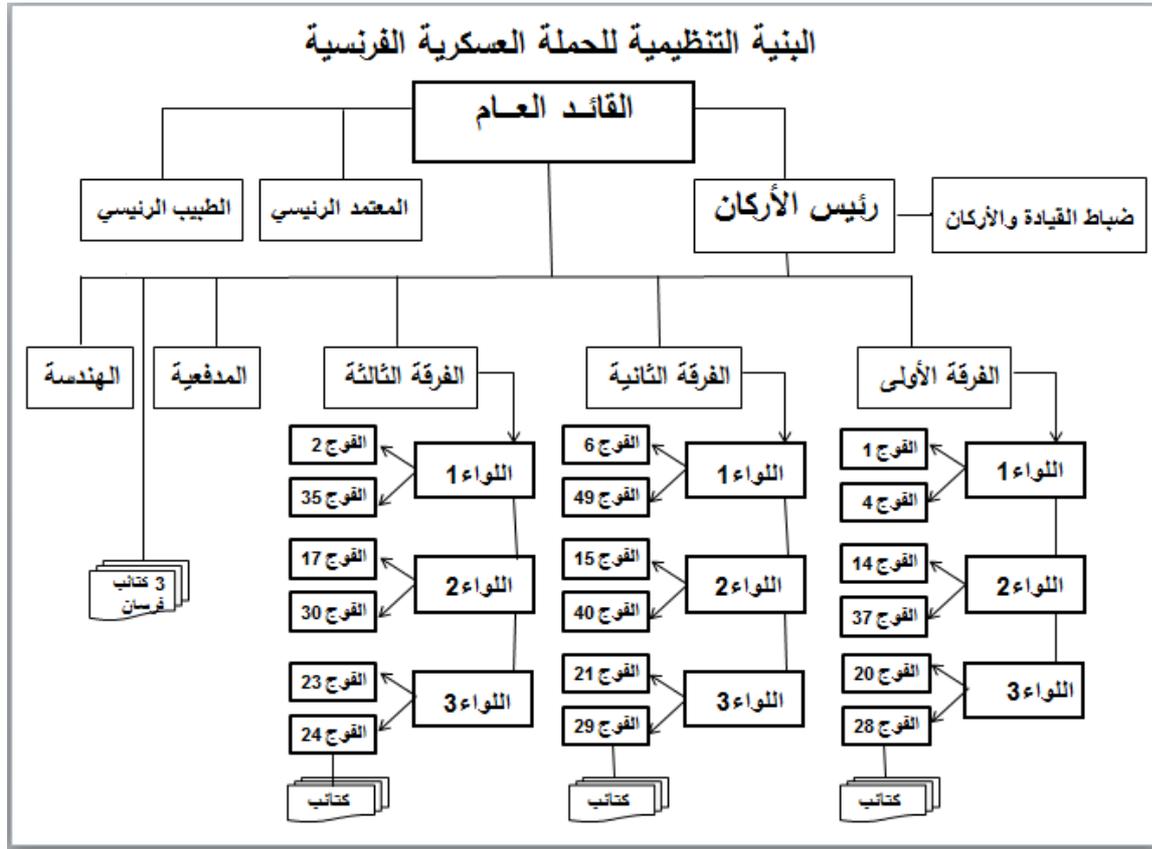
- قائد الحملة العسكرية: اللواء دو برمون (comte de Bourmont)

- قائد أسطول الحملة: العميد البحري ديبيري (vice-amiral Duperré)

--رئيس أركان الحملة العسكرية : اللواء ديسبراز (lieutenant général Desprez)

--نائب رئيس أركان الحملة العسكرية: العميد (maréchal de camp Tholozé)

- المعتمد العسكري للحملة: البارون دوني (baron Denniée)⁽²⁵⁾



كانت قوة الحملة العسكرية مشكلة من ثلاث فرق مشاة، كل فرقة تتكون من ثلاثة ألوية، وكل لواء من فوجين مشاة، وقد سميت كل فرقة، وكل لواء باسم قائدها، كما يلي:

الفرقة الأولى:

- قائد الفرقة: اللواء برتيزان (Lieutenant-Général: Le Baron Berthezène)
- قائد اللواء الأول: العميد بوري دو مورفان (Maréchal de Camp poret de morvan)
- قائد اللواء الثاني: العميد أشار (Maréchal de Camp Baron Achard)
- قائد اللواء الثالث: العميد كلوي (Maréchal de Camp Baron Clouet)

الفرقة الثانية:

- قائد الفرقة: اللواء لافيردو (Lieutenant-Général Le Comte Loverdo)
- قائد اللواء الأول: العميد دامريمون (Maréchal de Camp Comte de Damrémont)
- قائد اللواء الثاني: العميد مينك ديزر (Maréchal de Camp Munck d'Uzer)
- قائد اللواء الثالث: العميد كولومب دارسين (Maréchal de Camp Colomb d'Arcine)

الفرقة الثالثة:

- قائد الفرقة: اللواء ديسكار (Lieutenant-Général Duc d'Escars)
- قائد اللواء الأول: العميد دو سافيني (Maréchal de Camp Vicomte Bertier de Savigny)
- قائد اللواء الثاني: العميد هيرل (Maréchal de Camp Baron Hurel)
- قائد اللواء الثالث: العميد مونتليفو (Maréchal de Camp De Montlivault) (26)

- الفرسان: كان عدد أفراد سلاح الفرسان قليلا بسبب الصعوبات في توفير سفن النقل، والخوف من نقص العلف على الأراضي الجزائرية، لذلك فقد تقرر نقل ثلاثة سرايا فرسان فقط، كل سرية تتكون من 150 فارس. بالإضافة إلى نقل 2500 من الخيول والبغال لسلاح المدفعية، ولنقل العتاد والتجهيزات.

- المدفعية: تحت قيادة الجنرال لاهيت (Général La Hitte) وتشمل 82 قطعة مدفعية للحصار، 48 قطعة مدفعية ميدان، 24 قطعة مدفعية جبلية، 18 هاون، 150 مدفع خفيف هجوم على الأسوار.

- الهندسة: تحت قيادة الجنرال فلازي (général Valazé)، وتضم كتيبتين مختصتين في الألغام، وست سرايا نقابين، وسرية نقل.

- الاحتياطات المتنقلة: تشمل 2000 بندقية للمشاة، 172000 طلقة مدفعية، 3000 صاروخ ناري (fusées a la congrève)، 5000000 خرطوشة، و28 كلف و500 من مسحوق البارود للمدافع. 4840 خيمة، 30 عنبر مركب يتسع كل واحد ل 30 مصاب أو مريض، 3000 سرير ميداني من الحديد، 21 فرن تحضير الخبز الجماعي، و6 أفران ميدانية. ومن المؤونة ما يكفي الجيش شهرين.

- المصلحة الدينية: تضم 16 رجل دين، على رأسهم مسؤول البعثة الدينية، ويوجد من ضمنهم قس سوري.⁽²⁷⁾

- مصلحة الصحة تحت قيادة الطبيب الرئيسي رو (Médecin en Chef Roux)، ومساعد الطبيب الرئيسي، و12 طبيب اختصاصي، و150 طبيب، و93 صيدلي، دون حساب الأطباء، وأفراد الصحة على مستوى الألوية والأفواج⁽²⁸⁾.

- هيئة المترجمين: شارك في الحملة المترجمين من قدماء المماليك الذين سبق لهم الخدمة في جيش الامبراطور نابليون، وغيرهم من الذين يجيدون اللغة العربية، والتركية، تم توزيع الذين وقع عليهم كما يلي: مترجمان اثنان مع كل ضابط يحمل رتبة لواء، مترجمان مع كل قائد سلاح (المدفعية- الهندسة - الصحة - التموين ..)، ومترجم واحد مع كل ضابط يحمل رتبة عميد، وبين 10 إلى 12 مترجم في مقر القيادة والأركان.⁽²⁹⁾

2.1 الأسطول (l'escadre): يتكون من 104 سفينة حربية من مختلف الأصناف، و676 سفينة تجارية، المجموع 780 تحمل على متنها 37000 فرد من جيش الحملة، وحوالي 60000 فرد في خدمات البحرية، بالإضافة إلى عتاد التلغراف، والمطبعة.⁽³⁰⁾



الحملة الفرنسية على الجزائر سنة 1830 - دراسة عسكرية -

المصدر: SHAT 1H2 Sous-dossier 4					تعداد جيش حملة أفريقيا يوم 11 ماي 1830				
Effectifs de l'armée expéditionnaire d'Afrique à l'époque de l'embarquement — 11 mai 1830					الأحصنة والبغال	مجموع الأفراد	الوحدات	الضباط والموظفون	التعيين
	Officers et fonction- naires	Troupe	Total	Chevaux et mulets embar- qués					
État-major :					---	---	---	---	القيادة والأركان
État-major général	67		67	75	75	67	---	67	القيادة والأركان العامة
Interprètes et guides	25		25	---	---	25	---	25	المتترجمون والأمانة
Intendances	19		19	42	42	13	---	13	المعتدية
Trésor	15		15	28	28	83	---	83	المالية
Substances	83		83	2	2	17	---	17	الإعانة
Habillement	17		17	1	1	22	---	22	الأئمة
Santé - médecins	22		22	2	2	128	---	128	الصحة - الأطباء
chirurgiens	128		128	2	2	90	---	90	الأطباء الجراحون
pharmaciens	90		90	2	2	102	---	102	الصيدانة
administration	102		102	2	2	7	---	7	الإداريون
Postes de l'armée	1	6	7	---	---	4	---	4	البريد العسكري
Lithographie	2	2	4	---	---	2	---	2	الطباعة الحجرية
Force publique	7	120	127	35	35	127	120	120	القوات الصومية
1 ^{re} division :									الفرقة الأولى - الأركان
État-major	18		18	44	44	18	---	18	الوحدات
Troupes	360	9924	10284	85	85	10284	9924	9924	الفرقة الثانية - الأركان
2 ^e division :									الوحدات
État-major	18		18	46	46	18	---	18	الفرقة الثانية - الأركان
Troupes	360	9924	10284	84	84	10284	9924	9924	الوحدات
3 ^e division :									الفرقة الثانية - الأركان
État-major	18		18	46	46	18	---	18	الوحدات
Troupes	360	9924	10284	85	85	10284	9924	9924	الفرسان
Cavalerie	33	501	534	503	503	534	501	501	المدفعية - الأركان
Artillerie :									الوحدات
État-major	27	14	41	45	45	41	14	14	الهندسة - الأركان
Troupes	75	2254	2327	1309	309	2327	2254	2254	الوحدات
Genie :									العمال الإداريين
État-major	24	7	31	30	30	31	7	7	التنقل
Troupes	38	1272	1310	133	133	1310	1272	1272	المالية والبريد
Ouvriers d'administration	15	813	828	10	10	828	813	813	المجموع
Train des équipages	26	825	851	1330	1330	851	825	825	
Trésor et postes		45	45	45	45	45	---	---	
TOTAL :	1946	35631	37577	3908	3908	37577	35631	1946	

2 - الاستعدادات، والتحضيرات الجزائرية

كانت قد وصلت إلى الداوي حسين معلومات من عدة مصادر، منها بعض الجواسيس الذين خصص لهم مرتبات، هذه المعلومات تؤكد على أن هناك استعدادات فرنسية حثيثة للقيام بحملة عسكرية ضد مدينة الجزائر، وأن سفن الأسطول ستوجه على الأرجح إلى خليج سيدي فرج، حيث يتم هناك الإبرار البحري.⁽³¹⁾

لم تكن الاستعدادات والتحضيرات من الجانب الجزائري لصدة هذه الحملة العسكرية في المستوى المطلوب، رغم علمهم بتفاصيلها بمدى كافية. هناك أسباب عديدة يمكن أن تفسر لنا هذا التهاون، وعدم أخذ الأمور بمأخذ الجد.

● **السبب الأول:** لم يخطر ببال الداوي حسين بأن الفرنسيين يهاجمون الجزائر من ناحية البر، فكان يعتقد بأن الحملة لن تتعدى القيام بضربات المدفعية، وإلقاء القنابل من البحر مثل ما وقع في كل الحملات الأوربية السابقة، ثم تجري بعدها مفاوضات، وتبادل الرسائل ليتم حل المشكلة دبلوماسيا.

● **السبب الثاني:** تعمد الداوي حسين تركهم ينزلون في شاطئ سيدي فرج، على أساس أنه سيتم سحقهم، والقضاء عليهم بعد ذلك، وقد أكد الزهار أن قنصل نابولي حين بلغته أنباء الحملة الفرنسية، نصح قائد الجيش ابراهيم آغا القيام بمزيد من التحصينات، والاستحكامات العسكرية في سيدي فرج، فأجاب ابراهيم آغا قائلا: " إذا جاءت عمارة [أسطول] الفرنسيين ونزل جندها، فأقديم لكي ترى كيف يقص العرب والقبايل رؤوس

الفرنسيين " ⁽³²⁾

• السبب الثالث: كان الداى حسين يرى بأن جيشه لا يمكن هزيمته، زيادة على ثقته المفرطة في قوة حصون، وقلاع مدينة الجزائر، وصلابة أسوار القصبية، التي يعتبرها غير قابلة للسقوط، وأن مناعتها تجعلها تستطيع مقاومة الغزاة لمدة طويلة.

• السبب الرابع: من المحتمل أن الداى حسين لم يكن مطمئنا إلى المعلومات التي وصلته عن طريق الجواسيس، خاصة وأن الصحافة الفرنسية كانت قد كتبت بإسهاب، وبتفاصيل عن الحملة الفرنسية، وذكرت أن سيدي فرج هو المكان المختار لعملية الإبرار البحري، وقد يكون الداى شك بأن هذه المعلومات سريتها وزارة الحربية الفرنسية على سبيل التضليل والخداع.

رغم هذا، فقد جرت بعض الاستعدادات من الجانب الجزائري، يمكننا سردها فيما يلي:

- كتب الداى حسين إلى " القبائل والعرب يخبرهم بالنوايا العدوانية التي يضمها لهم الفرنسيون، ويأمرهم بأن يستعدوا ويكونوا رهن الإشارة... وكتب إلى باي وهران وأوصاه بتحسين مدينته وباليقظة وأمر باي قسنطينة بتحسين ميناء عنابة"⁽³³⁾.

- أمر الداى حسين أيضا " بإحصاء العمال في مدينة الجزائر، وبأن يرسل إلى الحصون للمساهمة في مناورات المدفعية، جميع القادرين، وبأن يعين قائد على رأس كل فيلق"⁽³⁴⁾.

- تدعيم الحصون والأبراج بالرجال والمدافع، وكان يوجد على مرتفع شاطئ سيدي فرج قرب زاوية المرابط، حصن صغير شيده الإسبان أثناء حملة الملك شارل الخامس أطلقوا عليه اسم " تور شيكة " (Torre-Chica) بمعنى " الحصن الصغير"، وكان يوجد في هذا الحصن اثني عشر مدفعا رتبها القائد السابق يحي آغا⁽³⁵⁾ وقد أضيفت إليه عند قرب وصول سفن الحملة الفرنسية بطارية من 6 مدافع، و1 هاون من البرونز، نصبت خلف حصن سيدي فرج في إتجاه الحوض الغربي على بعد 500 متر من الشاطئ، وبطارية أخرى من 6 مدافع في إتجاه الحوض الشرقي على بعد 1000 متر من الشاطئ.⁽³⁶⁾

ثالثا: مسار الحملة وعبورها البحر

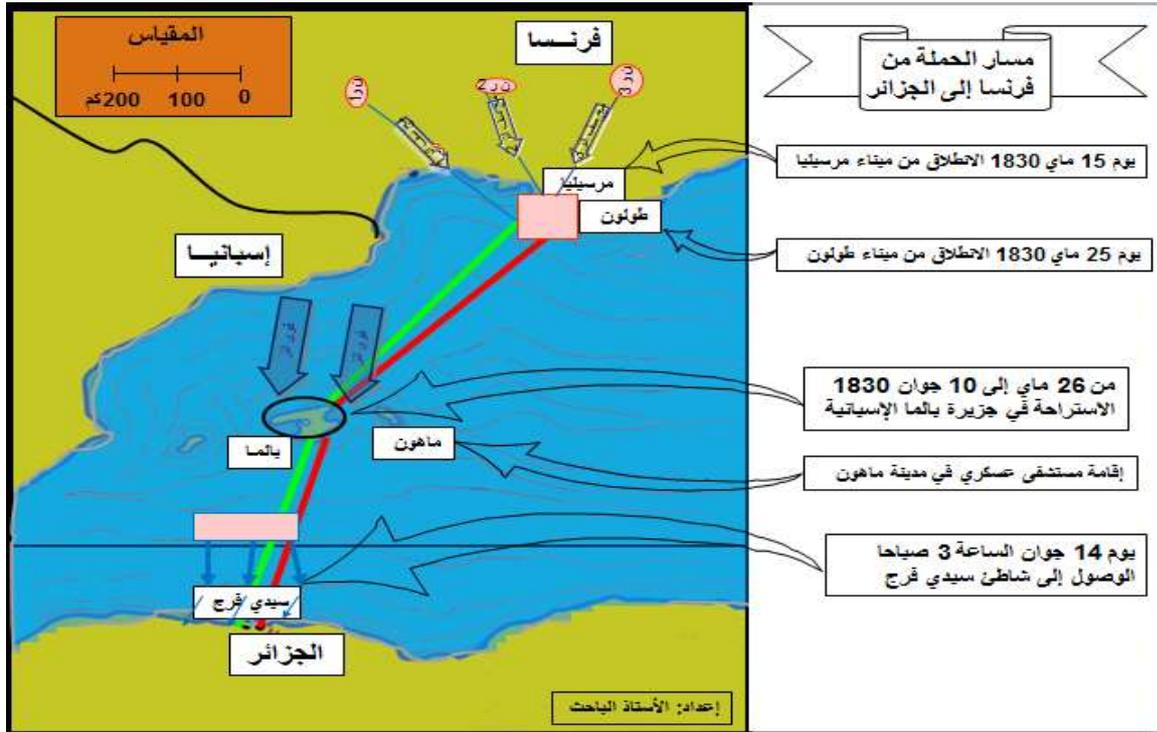
يوم 5 ماي وصل الجنرال دوبرمون قائد الحملة إلى طولون، حيث كانت قد تجمعت سفن وبواخر الأسطول منها 65 سفينة حربية، و303 سفينة نقل الأفراد والعتاد، وأنواع أخرى من السفن الشراعية، والزوارق المتنوعة مما يشكل إجمالي يقدر بـ 600 سفينة.⁽³⁷⁾

سجل الأدميرال ديبيري قائد الأسطول الفرنسي في تقرير أرسله إلى وزير الحربية، مختلف المراحل التي مرت بها الحملة العسكرية، حيث ذكر أن إشارة انطلاق الأسطول من ميناء طولون، صدرت يوم 25 ماي 1830 صباحا، وكانت الموجة الأولى تتكون من 75 عمارة (سفينة) حربية، و55 سفينة شراعية لنقل الأفراد. وقد لحقت بها الموجات الأخرى، وباقي السفن التجارية التي انطلقت يوم 15 ماي من ميناء مرسيليا، وأن عبور البحر الأبيض المتوسط تم في ظروف حسنة، حتى ليلة 27 - 28 ماي حين هاجمهم عاصفة بحرية، قريبا من جزر ميورقة الإسبانية، مما اضطرتهم إلى اللجوء إلى حوض جزيرة بالما لحماية السفن من الرياح العاتية.

بعد تحسن الطقس، يقول " انطلقت سفن الاسطول مواصلة عبور البحر، وفي يوم 12 جوان لاحت لهم شواطئ الجزائر، ولكن الرياح كانت قوية لا تسمح بالاقتراب من الشواطئ، وفي يوم 13 مرت قافلة الاسطول بمحاذاة الشاطئ



الجزائري قريبا من رأس كوكسين، ومنه إلى حوض تورشيكة في خليج سيدي فرج. ورغم كل المجهودات والنشاطات التي قام بها البحارة، إلا أننا لم نكن على استعداد لبداية الإبرار البحري إلا يوم 14 جوان على الساعة الثالثة صباحاً⁽³⁸⁾.



رابعاً: الإبرار البحري الفرنسي، ورد الفعل الجزائري

1 - الإبرار البحري على شاطئ سيدي فرج يوم 14 جوان 1830

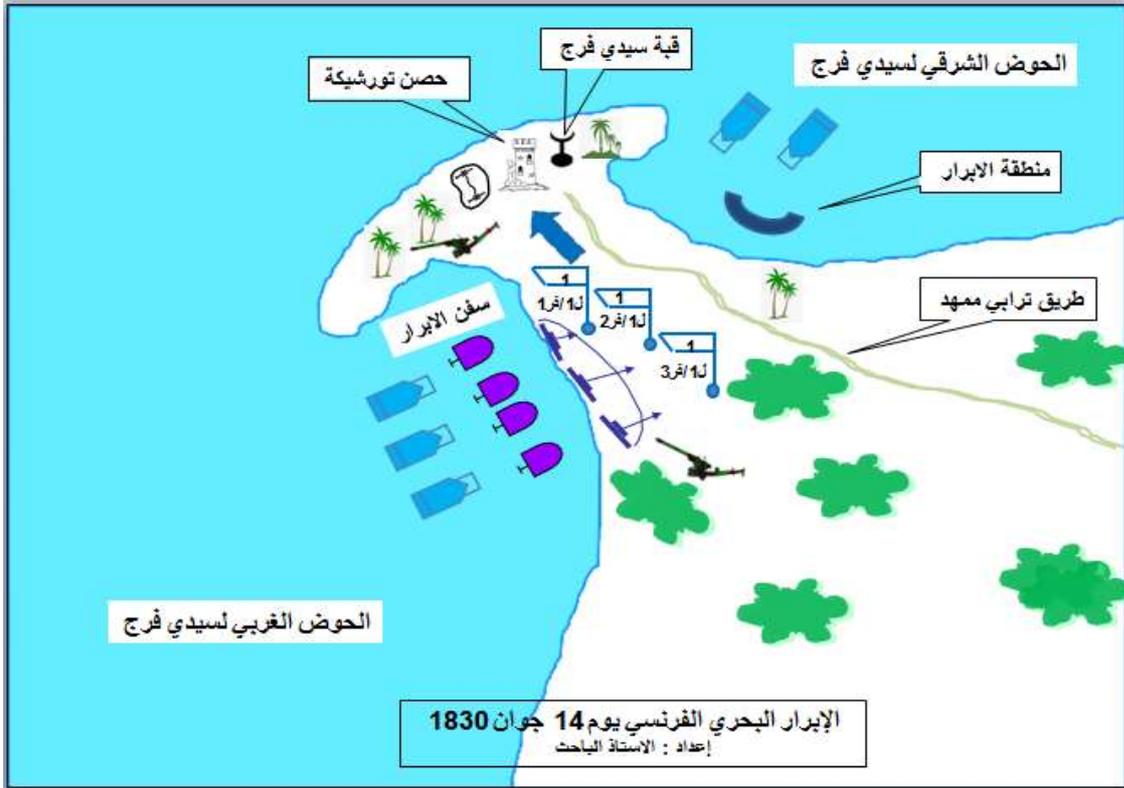
بعد وصول سفن الحملة الفرنسية إلى قرب السواحل الجزائرية، بدأ تنفيذ عملية الإبرار البحري للوحدات العسكرية الفرنسية، حيث أكد الأدميرال ديبييري قائد أسطول الحملة أن الأوامر أعطيت للشروع في الإبرار البحري يوم 14 جوان على الساعة الثالثة صباحاً⁽³⁹⁾ حيث بدأت سفن الإبرار الصغيرة في تحميل أفراد الفرقة الأولى، ونقلهم إلى الشاطئ، وبعد نزولهم من سفن الإبرار تجمعوا غرب قبة سيدي فرج قريبا من حصن تورشيكة، وكانت وحدات اللواء الأول هي أول من وصل إلى اليابسة، تبعهم مباشرة أفراد اللواء الثاني⁽⁴⁰⁾. ثم تواصل إبرار باقي وحدات الفرقة الثانية، ومعهم الجنرال القائد العام الذي أعطى الأوامر للفرقة الأولى لمطاردة المسلمين والاستيلاء على مواقعهم، ومدافعهم، بمساعدة من مدفعية السفن الحربية المتوقفة على الساحل⁽⁴¹⁾.

خلال هذه الفترة تم نقل عدة قطع من المدفعية التي حولت مباشرة لتعزيز وحدات اللوائين الأول والثاني من الفرقة الأولى. حيث انتهت هذه العملية حوالي الساعة العاشرة صباحاً. فأصدرت القيادة أوامرها بأن تحتل وحدات اللواء الثاني المرتفعات حيث يوجد المسجد، بينما توجه وحدات اللواء الأول إلى مخارج شبه جزيرة سيدي فرج لمطاردة العرب المختفين خلف الكثبان الرملية، والذين كانوا يراقبون تحركات القوات الفرنسية⁽⁴²⁾.

بعدها تم نقل الفرقة الثالثة، ثم وحدات الهندسة، التي قامت برسم مخطط لحفر الخنادق، وتجهيز التحصينات لإقامة مخيم عسكري في منطقة سيدي فرج.

على الساعة 12 كانت جميع القوات قد نزلت من السفن، بالإضافة إلى 4 بطاريات مدفعية ميدان، وبطارية مدفعية جبلية، و200 حصان، ومعهم قائد المدفعية الجنرال لاهيت، وكذلك الذخيرة، والمؤونة التي تكفي لمدة 20 يوما لكل عساكر الحملة⁽⁴³⁾.

بعد تهيئة السواتر الترابية، وخفر الخنادق المحيطة بالمخيم العسكري، قام العساكر بنصب الخيام، وركب عناصر المعتمدية المخازن والهيكل المصنوعة من الخشب، كما قام عناصر الصحة بتركيب المستشفى الميداني من الهياكل الخشبية. بينما استعمل المسجد الصغير مقرا لضباط القيادة والأركان، ونصب القائد العام دوپورمون خيمته بالقرب من المسجد، وأختار قادة الفرق، الجنرال بيرتنز، والجنرال ديسكار، والجنرال لوفيردو مقرات قياداتهم غير بعيدة عن القائد العام للجيش. أما قادة الألوية فقد أقاموا مراكز قياداتهم قرب وحدات ألويتهم⁽⁴⁴⁾.



2 - رد فعل حامية سيدي فرج على الإبرار البحري الفرنسي

لم تكد تصل الطلائع الأولى من سفن الحملة تظهر على مقربة من سواحل سيدي فرج، حتى كان أفراد الحامية العسكرية الجزائرية رغم عددهم القليل، المكلفين ببطاريات المدفعية الموجودة في حصن تورشيكة، والمتخذين في المرتفعات المجاورة على أهبة الاستعداد للتصدي لهم، ومهاجمتهم دون تردد، وبلا خوف أو وجل على الرغم من التفوق العسكري عدة، وعتادا، وعددا، وذلك عكس ما كتبه الكثير من المؤرخين، والباحثين، ومنهم بعض الجزائريين مع الأسف الذين روجوا لمقولة أن الجيوش الفرنسية نزلت في سيدي فرج دون أن تلقى أي مقاومة، وكأنها في فسحة أو نزهة، ويكفي لتفنيد هذا الكلام، أن ننقل اعتراف الجنرال دوپورمون قائد الحملة نفسه، بأن رد الفعل الجزائري خلال عملية الإبرار البحري صبيحة 14 جوان تسبب في مقتل 32 فردا⁽⁴⁵⁾.

وزيادة في التأكيد على ذلك، نسرد شهادات بعض الضباط الفرنسيين الذين شاركوا في الحملة، ونبدأ بالأميرال دوپيري قائد أسطول الحملة الذي كتب في التقرير الذي أرسله إلى وزير الحرب، أنه بعد الإبرار البحري: " تعرضت السفن والقوات الفرنسية على الساعة 6 صباحا من يوم 14 جوان إلى طلقات المدافع المعادية الموجودة في أحد



المرتفعات، وأنه تم تدميرها واحتلال مواقعها على الساعة 7 صباحا، وبعدها مباشرة سقطت علينا قنابل من 5 مدافع من بطارية معادية، وقنابل 2 هاونات، فكان رد فعلنا قويا، حيث نجحنا في تدمير ثلاثة مدافع بعد نصف ساعة، وعلى الساعة التاسعة تم إسكات بطارية المدفعية المعادية كاملة بالتعاون بين مدافع السفن الحربية، ومدفعية الميدان. ومن هذه اللحظة اقتصر القتال فقط على البنادق والاسلحة الخفيفة"⁽⁴⁶⁾.

أما النقيب بارشو (Barchou de Penhoen) أحد ضباط القيادة والأركان للجنرال دو بومورمون فيذكر أنهم: "شاهدوا من السفن بواسطة نظارات الميدان الفرسان العرب فوق خيولهم يتحركون في المرتفعات المقابلة للشاطئ، وكأنهم يقومون بحساب عدد السفن، كما شاهدوا أيضا مواقع بطاريات المدفعية في المرتفع القريب من حصن تورشيك، وأثناء اقتراب سفينة بخارية فرنسية من الشاطئ، وقيام مدافعها بإطلاق النار إتجاه بطارية العدو، كان رد فعل رجال المدفعية الجزائرية سريعا، فقد أطلقوا قنابل مدافعهم اتجاه القوات الفرنسية، حيث سقطت إحدى هذه القنابل وسط سفينة تسببت في مقتل بحار"⁽⁴⁷⁾.

بينما كتب الطبيب العسكري للفرقة الثانية بونافون (Bonnafont) عن عملية الإبرار البحري التي كان شاهد عيان عليها: "بدأت المدفعية الجزائرية في إطلاق القنابل على الساعة 4 صباحا مع بداية الإبرار البحري، وأنه تم تدميرها بواسطة مدفعية السفن الحربية على الساعة 6 صباحا، وقد وصل إلى الشاطئ على الساعة 10 صباحا، حيث شاهد أحد العساكر المصابين بحمله زملاءه، فأسرع إلى تقديم الاسعافات له"⁽⁴⁸⁾.

مع العلم أنه قد حدثت خسائر مادية متعددة، وتضررت بعض السفن والمراكب في البحر، دون أن ننسى التأثير المعنوي والنفسي لضربات المدفعية الجزائرية التي بلغت مدتها أكثر من ساعة بين فترات متقطعة على العساكر الفرنسية في بداية الإبرار البحري، ولمن أراد الاطلاع على تفاصيل هذه الأحداث، فهي مبثوثة في المذكرات والكتابات المنشورة للضباط الفرنسيين الذين شاركوا في هذه الحملة، وقد ذكرنا عناوينها في مصادر ومراجع هذا البحث.

3 - خطة أحمد باي العسكرية المقترحة:

أثناء انعقاد المجلس العسكري تحت رئاسة ابراهيم آغا قائد الجيش الجزائري، وبحضور مصطفى مزراق باي التيطري، وخوجة الخيل، وخليفة باي الغرب. قبيل الإبرار البحري الفرنسي ليلة 14 جوان 1830، اقترح الحاج أحمد باي خطة عسكرية لمواجهة الحملة الفرنسية، فبعد أن ذكرهم بأن ضيق الوقت، وأن قلة الامكانيات لا تسمح بإنشاء وتجهيز تحصينات قوية، أو توفير بطاريات مدفعية، لمنع الإبرار البحري الفرنسي، وأن تغيير مواقع المدفعية الثقيلة، والذخائر الحربية يؤدي إلى إضعاف دفاعات مدينة الجزائر، وتعريضها من الحماية. لذلك فهو يقترح بدلا من ذلك أن يقوم جيش الإيالة بمهاجمة مؤخرة الجيش الفرنسي عند تنقله عبر المسالك المؤدية إلى مدينة الجزائر، وذلك بغرض الاستحواذ على الامدادات والمؤونة، وزرع الفوضى وقطع الاتصالات بين النسق الأول والثاني للقوى الرئيسية، وبين وحدات المقدمة. يتم بعدها استدراج القوات الفرنسية إلى منطقة وادي مازفران، ومحاولة إلحاق الخسائر بها، ثم القيام بهجوم مضاد يشنت صفوف الجيش الفرنسي، ويمنعه من مواصلة السير نحو مدينة الجزائر.⁽⁴⁹⁾

4 - معارك واشتباكات يوم 14 جوان 1830

بعد قيام قوات الحملة الفرنسية بالإبرار البحري على الشواطئ الجزائرية، إثر المواجهة التي وقعت بين المدفعية الميدانية الفرنسية بالتعاون مع مدفعية السفن الحربية الراسية، وبين مدفعية حامية سيدي فرج التي انتهت بتدمير بطاريات مدفعية الحامية الجزائرية، والاستيلاء على مواقعها ومدافعها. تواصلت هجومات، ومناوشات أفراد الحامية، وفرسان القبائل التي انضمت إليها ضد العساكر الفرنسيين الغزاة لمنعهم من إقامة مخيماتهم العسكرية، أو التقدم لاحتلال المزيد من الأراضي، واختيار المواقع الملائمة لتمرکز وحداتهم.

يذكر الرائد فرنال (Fernel) ضابط في رئاسة أركان الجنرال دوبرومون قائد الحملة في كتابه " حملة افريقيا 1830 " أنه بعد إنشائهم للمخيم العسكري في سيدي فرج، وإحاطته بالسواتر الترابية، والتحصينات الهندسية، لم يكن العساكر الفرنسية يستطيعون الخلود إلى النوم ليلا في هدوء، أو الراحة داخل المخيم، وذلك بسبب كثرة الهجومات، والتحرشات التي كان يقوم بها فرسان القوات الجزائرية، لذلك كانت الأسلحة لا تفارقهم خوفا من الهجومات المفاجئة، وقد اضطرت قادة الوحدات الفرنسية إلى تنظيم نوم العساكر بالتناوب بينهم، وزيادة الحواجز الهندسية على أطراف المخيم العسكري لحمايته من تسلل العدو.⁽⁵⁰⁾

ويضيف الرائد فرنال أن اللواء الثالث تحت قيادة الجنرال كلوي كان مكلفا بمهمة تغطية الجهة اليسرى للمراكز المتقدمة للجيش الفرنسي، فقد اضطرت إلى صد العديد من الهجومات الشديدة للعدو، الذي كان يحاول الالتفاف على وحدات اللواء ومهاجمة تلك المراكز.⁽⁵¹⁾

نظرا لأهمية ما ورد في كتاب اللواء بيرتزن " 18 شهرا في الجزائر " الذي هو عبارة عن مذكرات ضابط جنرال عايش وقائع هذا اليوم منذ البداية، باعتباره قائد الفرقة الأولى التي كانت وحداتها أول من وطأت أقدامهم شاطئ سيدي فرج، فقد تحدث بالتفصيل عن كل ما وقع منذ وصول السفن إلى حوض سيدي فرج، ثم القصف المدفعي المتبادل بين الطرفين، وبعدها الهجومات والاشتباكات التي وقعت طوال ذلك اليوم، وقد قمت بتلخيص ما ذكره الجنرال من تفاصيل أحداث يوم 14 جوان مرتبة كما يلي:

أ- عند المحاولات الأولى لاقترب سفن الإبرار البحري من الحوض الغربي لشاطئ سيدي فرج، واجهتنا نيران قنابل المدفعية المعادية التي كان مصدرها حصن تورشيكة، مما أجبرنا على الابتعاد إلى عمق البحر، وإرسال سفن بحرية لتدمير هذه المدافع قبل القيام بعملية الإبرار البحري.⁽⁵²⁾

ب- بعد إبرار الفرقة الأولى، تبعها الفرقة الثانية، وما كادت الوحدات تنتهي من تنظيم صفوفها، حتى اندلعت معركة بين مدفعيتنا وبين بطارية معادية متشكلة من قطعتين للمدفعية موجودة في نهاية المرتفع خلف الحصن، ثم شاركت بالتدرج قطع مدفعية معادية موجودة في المرتفعات القريبة، كانت القنابل في الأول تتساقط دون دقة، لكن بعد فترة قصيرة أصبحت أكثر دقة، حيث أصابت السفن القريبة من الشاطئ، وتجمعات العساكر الذين نزلوا على الشاطئ، وقد قامت سفينتان من نوع بريك تتواجدان في الحوض الشرقي لسيدي فرج بالرد على مدفعية العدو، والرمي المكثف على مواقعها، غير أن قنابل المدفعية المعادية لم تتوقف رغم بعض الخسائر التي لحقت بها.⁽⁵³⁾

ج- نظرا لتأزم الأوضاع تنقل الجنرال دو بورمون القائد العام من مقر قيادته قرب زاوية المرابط إلى المراكز الأمامية حيث توجد الفرقة الأولى، وبعد استماعه إلى تقارير القادة الميدانيين، أعطى أوامره إلى قائد الفرقة الأولى بالهجوم على العدو واحتلال مواقعه، حيث قام اللواء الأول، والثاني من الفرقة الأولى بالهجوم من الجهة اليسرى، والالتفاف على مرابض مدفعية العدو والاستيلاء عليها، وقد تعرض اللواء الثاني أثناء تقدمه في أرض مكشوفة إلى نيران العدو، خاصة القنابل التي أحدثت خسائر في صفوفه، بينما كان اللواء الثالث يتقدم في الخلف على بعد حوالي 300 متر، في وضعية احتياطي الفرقة.⁽⁵⁴⁾

د- توقف تقدم وحدات الفرقة الأولى بعد وقوع سرية عينت في مهمة استطلاع للميدان، وفتح الطريق، ولم تكن تعلم أنها كانت تتحرك وسط قوات كبيرة للعدو، التي أحاطت بها من كل جانب، وأطلقت عليها نيران كثيفة كادت تقضي على جميع أفرادها، لولا التدخل السريع لأفراد الفوج الثالث الخطير بقيادة العقيد روسال (Roussel) الذي أنقذ أفراد السرية من كارثة محققة، بعد أن سقط خمسة قتلى، من بينهم ضابط.



هـ - بعد سيطرتنا على الهضبة التي كانت تتمركز فيها القوات الجزائرية، واستيلاءنا على قطع المدفعية التي تركوها بعد انسحابهم في اتجاه الجزائر، قام الفوجان 37 و20 من اللواء الثاني بمطاردتهم حوالي كيلومتر⁽⁵⁵⁾. وقد أعترف الجنرال بيرتن " أن خسائر الفرقة الأولى في هذا اليوم قد بلغت 34 قتيل، و128 مصاب، أما خسائر الطرف الجزائري، فيذكر أنه لم يكن بمقدورنا حسابها أو معرفتها، بسبب أن هؤلاء القوم كانوا لا يتركون جرحاهم، وجثث قتلاهم في ميدان المعركة، بل كانوا يبذلون جهودهم في نقلها معهم أثناء انسحابهم، غير أننا نستطيع القول أنها كانت خسائر هامة⁽⁵⁶⁾".

5 - النشاطات العسكرية من 15 إلى 18 جوان

بعد نجاح الإبرار البحري الفرنسي، والسيطرة على خليج سيدي فرج، أصدرت القيادة الفرنسية أوامرها إلى جميع الوحدات للشروع في مباشرة إقامة التحصينات والمتاريس، تحت إشراف كتائب الهندسة العسكرية، لأنهم كانوا متأكدين من أن رجال المقاومة الجزائرية لن يتركوهم يتمتعون بهذا النصر الظرفي، وأنهم سوف يهاجمون مواقعهم، ويحاولون إلحاق أكبر الخسائر والأضرار في صفوفهم.

سنقوم بتتبع، وتلخيص النشاطات العسكرية، والأحداث التي وقعت بين 15 جوان بعد الإبرار البحري، حتى يوم 18 جوان، عشية معركة سطاوالي، مرتبة حسب الأيام :

أ - يوم 15 جوان 1830:

- وصل ابراهيم آغا قائد جيش أيلة الجزائر إلى سطاوالي في فجر يوم 15 جوان، فحسب شهادة اللواء بيرتن قائد الفرقة الأولى التي كانت تحتل المواقع الأمامية شرق سيدي فرج، فإنهم قد شاهدوا في صباح يوم 15 جوان الأغا ابراهيم رفقة كوكبة من الفرسان يقومون باستطلاع مواقع القوات الفرنسية، وأنه بعد تبادل بعض الطلقات النارية مع المراكز العسكرية الفرنسية المتقدمة، عاد إلى معسكره في اسطاوالي⁽⁵⁷⁾.

- ذكر أحمد باي في مذكراته أن الجزائريين شرعوا في بناء التحصينات المؤقتة، وإقامة السواتر الترابية، وحفر الخنادق أمام، وعلى أجناب المعسكر الجزائري في سطاوالي، وتجهيز مرابض المدفعية في المرتفعات الحاكمة، ومواصلة استنفار القبائل لإرسال النجيدات من المقاتلين⁽⁵⁸⁾.

- كتب الملازم الأول ماريوس (Marius) من الفوج 3 التابع للفرقة الأولى، في مذكراته أنه " بداية من يوم 15 جوان شرع عساكر الحملة الفرنسية في تجهيز بطاريات المدفعية، والتحصينات، وتهيئة الطرق التي تسهل نقل العتاد، وتحرك العربات والمدافع. بينما كانت المرتفعات المحيطة بالمخيم العسكري الفرنسي، تعج بفرسان، ومشاة العدو، الذين كانوا يهاجمون مراكزنا المتقدمة، ويزعجونها باطلاق الرصاص"⁽⁵⁹⁾.

- أما الرائد فرنال فقد كتب أنه " بداية من يوم 15 جوان، تأكد جنودنا من الأخطار التي يواجهونها إذا سقط أحدهم بين أيدي العرب، فقد وجدوا العديد من جثث أصدقائهم، وقد فصل رأسها عن الجسد، فعرفوا حينها قوة وصلابة العدو الذي يقابلهم، وقد بلغ الشعور بالسخط، والاستياء درجة كبيرة بين صفوفنا"⁽⁶⁰⁾.

ب - يوم 16 جوان 1830:

- ذكر أحمد باي في مذكراته، بأن الداوي حسين أعطى أوامره بتوزيع مدافع جديدة متعددة العيارات على مختلف القادة، وعلى جميع الأعيان الذين كانوا يقودون الجيش، وعلى من كانوا مثلي قادمين من مناطق بعيدة⁽⁶¹⁾.

- كتب الطبيب العسكري للفرقة الثانية أن " وحداتنا المتواجدة في مواقعها الدفاعية المجهزة حول حصن تورشيكة الذي أتخذه القائد العام مركزا لقيادته، واصلت عمليات التحصينات في المخيم العسكري، وقد حولنا شبه

الجزيرة إلى ما يشبه الثكنة العسكرية. كما تواصلت عمليات تفرغ وترتيب المؤونة والذخيرة، وفي منتصف النهار هاجت الأمواج، وبدأ القلق يتسرب إلى النفوس، لم يكن لدينا ما يكفي إلا لمدة خمسة عشر يوما من المؤونة، ولم يكن يتوفر لقطعة المدفعية غير 220 طلقة، كانت أكبر كميات الذخيرة والمؤونة لا تزال في السفن، وكذلك الخيول، وحيوانات النقل، وعتاد الحصار، وكان الضباط قد تذكروا الكارثة التي حلت بشارلكان والتي كانت على شواطئ الجزائر، وقد ضربت العاصفة سفينتان، وجرتهما إلى الشاطئ، لحسن الحظ لم تصابا إلا بأعطاب صغيرة⁽⁶²⁾.

- كتب الجنرال بيرتزن قائد الفرقة الثانية، أنه في " يوم 16 حوالي الساعة 9 صباحا، غيم الجو، ثم جاءت عاصفة تلاعبت فيها الأمواج بسفننا وبواخرنا، وقد بلغ منا القلق مبلغا عظيما، وسادت الحيرة وجوه الضباط في مقر القيادة والأركان، وكنا نخشى أنه زيادة على هذه الكارثة، من الممكن أن يقوم فرسان العدو بمهاجمة خيامنا الخالية من الدفاع، ولتجنب هذا الاحتمال فكرنا في إعادة الوحدات إلى التحصينات التي أقامتها الهندسة في سيدي فرج. لكن الجنرال القائد الأعلى رفض تطبيق هذا الاقتراح الذي كان صائبا، حيث أن بعض العرب هاجموا مراكزنا الأمامية، لتستقبلهم دفاعاتنا باطلاق النيران، تحسن الطقس، وعاد الهدوء حوالي الساعة 3 مساء".⁽⁶³⁾

ج - يوم 17 جوان 1830:

- كتب الرائد فرنال أن " القائد العام دوپورمون استقبل في مساء يوم 17 جوان " شيخ قبيلة جاء إليه ليدافع عن أفراد ومصالح قبيلته، وقد كان للمعاملة الحسنة التي تلقاها تأثيرها الحسن، حيث أنه في الغد يوم الجمعة 18 جوان، جاء العديد من البدو إلى مراكزنا الأمامية وهم يحملون عصي عليها قماش أبيض إشارة إلى أنهم يريدون السلام، وقد أبلغونا أنهم قدموا للتفاوض لحماية قبائلهم. وقد أخبرونا أن هناك قوات كبيرة قدمت إلى سطاوالي، وأن ابراهيم آغا صهر الداوي قائد الجيوش قد أحضر معه أحسن المقاتلين في الإيالة⁽⁶⁴⁾.

- أضاف الجنرال بيرتزن أنه في يوم 17 جوان " قامت قيادة الفرقة الأولى، وضباط الأركان بعدة عمليات، ومحاولات استطلاع عن قوات ووضعيات العدو، حيث تبين لنا أن عدد خيامه قد ازدادت بشكل كبير، وكذلك الأمر بالنسبة للرايات والأعلام، فقد كنا نراقب منذ يومين نشاطات العدو، وانشغاله بتحضير بطاريات مدفعية على مرتفعات سطاوالي، وشاهدنا كيف جاءت إمدادات تتمثل في عدة مدافع، وكميات كبيرة من الذخيرة، والمؤونة تكفي لعدة أيام".⁽⁶⁵⁾

د - يوم 18 جوان 1830 :

في هذا اليوم تنقلت الجيوش الجزائرية من الدار البيضاء إلى منطقة سطاوالي، حيث تجمعت هناك، والتحقت بهم جيوش قبائل متيجة، وقبائل جرجرة، وبني مزاب، وهناك نصبوا الخيام، وتوزعوا في الميدان حسب قياداتهم، فاستقر في وسط المخيم ابراهيم آغا قائد الجيوش تحيط به خيام جيوش الانكشارية، وعلى يمينه أحمد باي حاكم قسنطينة، وعلى يساره الباي بومرزاق حاكم التيطري، وفي الخلف خليفة باي وهران، وانتشرت جماعات من جيوش المتطوعين هنا وهناك في أطراف المخيم⁽⁶⁶⁾.

وأضاف حمدان خوجة أن: "إبراهيم آغا قائد الجيوش أخبره بأنه أرسل بعض جواسيسه إلى المعسكر الفرنسي، وأمرهم أن يوهموهم، ويظهروا لهم بأنهم من الناقمين على الأتراك، وأنهم يريدون مساعدة الفرنسيين، ثم يقدمون لهم معلومات كاذبة عن وجود قوات جزائرية في جهة البحر، حيث سيتم نصب كمين لهم، ويتم الهجوم عليهم هناك"⁽⁶⁷⁾.

في مساء يوم 18 جوان، تسلل بعض العرب خفية للقاء الجنرال بيرتران سرا، لتحذيره من أنه سيتم الهجوم عليهم في الغد، ومن بين هؤلاء العرب المدعو أحمد بن شنعان من قبيلة بني جياذ⁽⁶⁸⁾ الذي أعلن بأن قبيلته تضع نفسها تحت تصرف الفرنسيين⁽⁶⁹⁾.

في شهادة الأدميرال قائد أسطول الحملة الفرنسية، أنه " رغم عدم تحسن أحوال الطقس بصفة تامة، إلا أننا واصلنا عملية نقل الأحصنة، ومواد التموين، والذخيرة من السفن إلى المخيم العسكري بسيدي فرج، وفي نفس اليوم أرسلت أربعة سفن إلى ميناء طولون بفرنسا لجلب المزيد من المؤونة والمياه، أما بقية السفن التي أفرغت حمولتها، فقد أعطيت لها الأوامر بالعودة إلى الموانئ الفرنسية"⁽⁷⁰⁾.

خامسا: معركة سطاوالي يوم 19 جوان 1830

بعد أن جمع قادة القوات الجزائرية المعلومات عن العدو، بواسطة عمليات الاستطلاع التي نفذوها بأنفسهم، أو عن طريق فرق الاستطلاع التي كانت تتقدم إلى المراكز المعادية الأمامية، وبعد وصول النجيدات والتعزيزات إلى منطقة سطاوالي، تقرر القيام بتنفيذ هجوم للتخلص من هذا الجيش الغازي الذي أصبح يشكل تهديدا على كيان الإيالة.

1 - سير المعركة:

بعد صلاة الصبح، أمر ابراهيم آغا قواته بالتحرك لمواجهة القوات الفرنسية، تم تقسيم الجيش الجزائري إلى قسمين كبيرين، كل قسم يسير على شكل رتل منفصل:

- الرتل الأول تحت قيادة ابراهيم آغا، ونائبه بومزراق باي التيطري، ويتكون من جنود الإنكشارية (3000 فرد)، أفراد الكورغلي (حوالي 5000 فرد) أبناء المتيجة (حوالي 6000 فرد)، فرسان القبائل (حوالي 6000 فارس)، جنود باي التيطري (حوالي 1000 فرد).

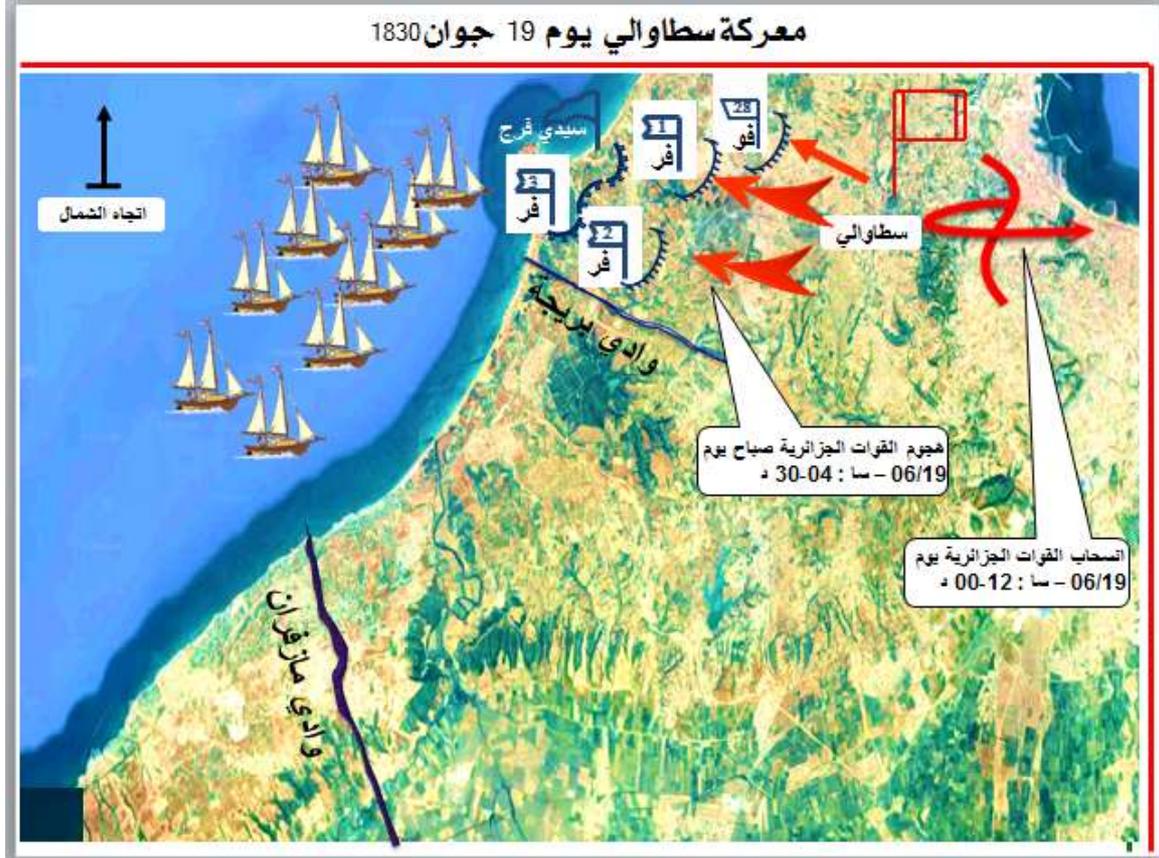
- الرتل الثاني بقيادة أحمد باي، ونائبه خليفة باي وهران، ويتكون من جنود قسنطينة (حوالي 300 فرد)، جنود الانكشارية (حوالي 1000 فرد)، جنود وهران (حوالي 1000 فرد)، فرسان ومنتطوعين من القبائل (6000 فرد)، جنود بني ميزاب (4000 فرد)⁽⁷¹⁾

كانت مهمة الرتل الأول الهجوم على وحدات اللواء الأول من الفرقة الأولى، بينما كلف الرتل الثاني الالتفاف إلى اليمين والهجوم على الفرقة الثانية.

بدأ الهجوم بإطلاق التمهيدات المدفعية على المراكز المتقدمة المعادية، ليفسح المجال لسلاح الفرسان لتنفيذ هجوم كاسح على طول الحد الأمامي، يتبعهم المشاة والرماة، وقد نجح هذا الهجوم الذي نفذ في الصباح الباكر مع وجود طبقة من الضباب الكثيف، في زعزعة صفوف القوات الفرنسية، واختراق الحد الأمامي المعادي.

توالت هجومات القوات الجزائرية، ولم تستطع الوحدات الفرنسية المقاومة، والدفاع عن مواقعها الأمامية، فتراجع إلى الخلف، فأعطى القائد العام أوامره بتدعيم الوحدات المدافعة وتنقل هو شخصيا رفقة ضباط الأركان، للإشراف على

سير المعركة في الميدان⁽⁷²⁾.



2- نتائج المعركة: نجح الهجوم المضاد في إلحاق الهزيمة بالجيش الجزائري، الذي تشتت صفوفه، ولاذ عناصره بالفرار، مثل ما فعله قائدهم ابراهيم آغا، الذي وصفه حمدان خوجة بالجبان حيث أنه: " غادر المعسكر وكله يأس كما لو أنه فقد رأسه، لقد ترك كل شيء: الخيم، فرق الموسيقى، الاعلام وجيشه بأكمله"⁽⁷³⁾.

3- خسائر الطرفين: من الجانب الفرنسي: بلغت الخسائر البشرية بين 700 إلى 800 فرد، منهم القتلى والجرحى، وتدمير عدة مدافع، وتخریب الكثير من التحصينات، والتجهيزات الهندسية⁽⁷⁴⁾.

من الجانب الجزائري: قدرت الخسائر البشرية بين 3000 إلى 5000 قتيل وجريح، كما استولى الفرنسيون على 9 قطع مدفعية، بالإضافة إلى 270 خيمة، وكميات كبيرة من المؤونة، والجمال، والبغال⁽⁷⁵⁾.

سادسا: معركة سيدي خالف 24 جوان 1830

بعد هزيمة الجيش الجزائري في معركة سطاوالي، وتفرقه، وفرار قائده الآغا ابراهيم، أصبح الجيش كما يقول حمدان خوجة "بدون قائد، وطلب منه الداى أن يذهب للتفتيش عن ابراهيم آغا وإرغامه على العودة إلى قيادة الجيش، وهو ما قام به حمدان خوجة، حيث أرغمه على اتباعه، وبذل ما في جهودهما لجمع ما أمكن من الجنود⁽⁷⁶⁾ كان الجيش الفرنسي قد استقر في هضبة سطاوالي، حيث شرع في تحصين المخيم العسكري، وتشيد المتاريس، والسواتر، وتجهيز مواقع المدفعية، ولم يستغل الجنرال القائد العام للحملة هذه الحالة، والتقدم في اتجاه الجزائر، نظرا



لنقص المعلومات عن تطورات الاوضاع في الإيالة، كان ينتظر وصول باقي قطع المدفعية الثقيلة، والخيول، ووسائل الحصار⁽⁷⁷⁾.

تمركز الجيش الجزائري الذي تم جمعه تحت قيادة الأغا ابراهيم قريبا من قبة سيدي خالف على بعدة كيلومترات عن مخيم الفرنسيين في سطاوالي، ووصلت تعزيزات جديدة من المتطوعين، وفرسان القبائل العربية، وقد ذكر اللواء بيرتزان أن عناصر الجيش الجزائري استعادوا شجاعتهم ونشاطهم بعد أن لاحظوا ثبات وعدم تحرك القوات الفرنسية، حيث قاموا بعمليات استطلاع ليومين متتاليين 22 و23 جوان، كما كانوا يقومون بهجمات ضد مؤخرات الوحدات، حيث نجحوا في أخذ بعض الجنود الفرنسيين أسرى⁽⁷⁸⁾.

كانت وضعية الجيش الفرنسي يوم 23 جوان كما يلي:

- الفرقة الأولى: اللواء الأول منتشر في المنطقة الممتدة من ضواحي دالي إبراهيم، حتى يسار الطريق الرابط بين سطاوالي والجزائر

- الفرقة الثانية: انتشر لواءان منها على الخط الدفاعي أمام هضبة سطاوالي، حيث توزعت على شكل شبه دائرة. أما اللواء الثالث فكان قريبا من سيدي خالف للتغطية والحماية.

- الفرقة الثالثة: لواءان منتشرة في هضبة سطاوالي حيث يوجد المخيم العسكري، ومقر القائد العام للحملة. بينما بقي لواء في المخيم العسكري بسيدي فرج لحماية المستشفى حيث يوجد الجرحى المرضى، وكذلك مخازن العتاد والذخيرة⁽⁷⁹⁾.

استطاعت القيادة الفرنسية الحصول على معلومات تتعلق بتحضير الجيش الجزائري لهجوم كاسح يوم 24 جوان، فأصدرت الانذار بذلك، واتخاذ الاجراءات الضرورية لصد هذا الهجوم، كما أصدر الأدميرال دوبيري قائد الأسطول يوم 23 جوان، أوامره بتحرك فرقاطة، وثلاث سفن حربية للتقدم قريبا من الشاطئ لحماية القوات الفرنسية، ومساندتها في أعمالها القتالية⁽⁸⁰⁾.

في صبيحة يوم 24 هاجم آلاف الفرسان، والمشاة المراكز الأمامية للوحدات العسكرية الفرنسية، وقد تصدت لهم باطلاق النيران، غير أنهم لم يستطيعوا الصمود أمام قوة الهجوم الجزائري، وسقط العديد من القتلى والجرحى من الجانبين⁽⁸¹⁾.

توالت هجمات الجيش الجزائري بكل قوة، وتصميم، وقد وجدت الوحدات الفرنسية المدافعة صعوبات كبيرة في صد هذا الهجوم، ولم تنجح في توقيف هذه الهجمات إلا بعد قتال طويل أشد من القتال الذي وقع يوم 19 جوان⁽⁸²⁾ [يقصد معركة سطاوالي]

بعد أن أطلع الجنرال دوبورمون القائد العام على سير العمليات العسكرية، والصعوبات التي تلاقيها وحدات الفرقة الثالثة في الموقع الدفاعي الأول، أمر الألوية الثلاثة التابعة للفرقة الأولى، بالإضافة إلى لواء من الفرقة الثانية، تعززها ثلاث بطاريات ميدانية التقدم في اتجاه سيدي خالف لمساندة الفرقة الثالثة في توقيف الهجوم الجزائري، وتنفيذ هجوم مضاد⁽⁸³⁾.

بقي القتال متواصلا طوال اليوم، وفي المساء انسحبت القوات الجزائرية، بعد أن تسببت في خسائر بشرية نسبية في صفوف الجيش الفرنسي، منهم الملازم الأول أميدي (Amédée)

ابن الجنرال دوبورمون قائد الحملة شخصيا، الذي أصيب بجراح خطيرة، مات على إثرها⁽⁸⁴⁾.

سابعا: النشاطات العسكرية من 25 جوان إلى 29 جويلية 1830

لم تتوقف هجمات القوات الجزائرية بعد معركة سيدي خلف، حيث يعترف ضباط العدو الفرنسي أنه بعد تعيين مصطفى بومزراق باي التيطري قائدا للجيش الجزائري خلفا لإبراهيم آغا، ذاقت معه القوات الفرنسية الويلات، وجعلها تعيش في قلق، وحيرة دائمين، فرضت عليها أن تكون على أهبة الحيلة والاستعداد ليلا ونهارا، فقد أثنى فيهم، ودوخهم بالكماثن، والإغارات التي كانت تحدث في صفوفهم الخسائر تلو الخسائر، مما جعل الجنرال دو بورمون القائد العام للحملة، يصفه بأنه " خصم عنيد، وصعب المراس، وأنه جعل القوات الفرنسية تعيش في وضعيات صعبة"⁽⁸⁵⁾.

استعمل القائد الجديد مصطفى بومزراق أساليب تكتيكية جديدة، ومبتكرة، حيث أنه قام بنشر وتوزيع القوات على شكل مجموعات صغيرة من المقاتلين على طول الطريق بين سطاوالي والجزائر، اختار لهم مواقع استراتيجية، ومناطق العبور الاجبارية للجيش الفرنسي أثناء تحركاتهم على حواف الغابات، وداخل البساتين قريبا من هذه المسالك التي ليس للقوات الفرنسية خيار إلا المرور عبرها، كما أمر ببناء بطاريات المدفعية، والهاونات في مرتفعات سفح جبل بوزريعة، وعلى مرتفعات منطقة الأبيار، لرمي أرتال العدو الفرنسي بالقنابل بصورة مكثفة، هذه النشاطات العسكرية والهجومات المتكررة تسببت في إحداث خسائر كبيرة في صفوف الوحدات الفرنسية، وكذا تعطيل، أو شل تحركاتها لفترات معينة.

سجل العديد من الضباط الفرنسيون الذين شاركوا في الحملة مختلف النشاطات العسكرية، والأحداث التي وقعت خلال هذه الفترة في مذكراتهم، وشهاداتهم، وقد أخترت نقل ما سجله الجنرال ديسبيراز رئيس أركان الحملة الفرنسية في مذكراته عن هذه النشاطات العسكرية، والوقائع لسببين اثنين، أولهما المركز الذي كان يحتله هذا الضابط الجنرال، حيث يعتبر الرجل الثاني في الحملة بعد القائد العام، وثانيهما لأن هذه النشاطات والأحداث نقلها من وثيقة رسمية هي: "سجل المسير للحملة" (Journal de marche de l'expédition)، مما يجعل معلوماته ذات مصداقية وأقرب إلى الحقيقة، ويكفي أنه أعترف فيها بأن: " الخسائر البشرية ارتفعت إلى 200 قتيل يوميا خلال الأيام من 25 إلى 28 جوان، وكانت مصالحي الصحة تستقبل المصابين والجرحى، وتم إخلاء أكثر من 500 مصاب إلى مستشفى ماهون في جزر البليار بإسبانيا"⁽⁸⁶⁾.

فيما يلي -باختصار- أهمها مرتبة حسب الأيام:

أ - يوم 25 جوان: هاجم عناصر العدو مواقعنا من الجهة، وعلى الأجانب مستغلين تضاريس الطبيعة، مختلفين وراء الأشجار، والأحراش، فيتسللون إلى مسافات قريبة من مراكزنا، وبعد إطلاق الرصاص يفرون بسرعة، وقد دام هذا الهجوم طول اليوم، وكان من نتائجه سقوط 200 قتيل في صفوف أربعة ألوية، وفي نفس اليوم، تعرضت قافلة تموين متوجهة من سطاوالي إلى سيدي خالف إلى إلى كمين قاتل عند عبورها أمام بستان، ولولا تدخل وحدات من الفرقة الثالثة لكانت النتيجة كارثية⁽⁸⁷⁾.

ب- يوم 26 جوان: نفذ الفرسان العرب إغارة ناجحة، كان ثمنها خسارة مرتفعة في صفوفنا، ومن بين القتلى الملازم الأول أموروس (Amoros) من سلاح المدفعية، في نفس اليوم، هاجمت القوات الجزائرية العديد من مواقعنا، أوقعت مقتل 168 عسكري تابعين للواء الأول، والثاني من الفرقة الثالثة، ومقتل 70 عسكرياً من الفرقة الأولى⁽⁸⁸⁾.



ج- يوم 27 جوان : أطلقت المدافع الجزائرية التي كانت تتمركز على الطريق بين سيدي خالف والجزائر قنابلها على مواقع الوحدات الفرنسية، أصابت إحداها الرائد بورن (Borne) الذي نقل إلى مستشفى سيدي فرج الميداني، لكنه توفي نظرا لإصابته الخطيرة⁽⁸⁹⁾.

د- يوم 28 جوان: تعرضت كتيبة من الفوج 2 الخفيف [من اللواء الأول، الفرقة الثالثة] إلى هجوم مفاجئ يمين سيدي خالف، حيث استغل العرب تضاريس الطبيعة، ليتسللوا بكل خفة دون أن يكتشفهم عساكرنا، ويفاجئوهم بهجوم كاسح أدى إلى مقتل 60 عسكري، وكادت الخسارة تكون أكبر من ذلك، لولا تدخل اللواء الأول من الفرقة الأولى الذي سارع إلى نجدتهم، وفك الحصار عنهم، أما الفوج 35 [من اللواء الأول، الفرقة الثالثة] الذي برز في هذا الاشتباك، فقد دفع الثمن غالبا، حيث قتل له 80 فردا⁽⁹⁰⁾.

هـ - يوم 29 جوان : أخبر الجنرال دو بورمون القائد العام يوم 28 جوان، الأميرال ديبيري قائد الأسطول أنه سيتحرك في الغد على رأس جيش الحملة في اتجاه الجزائر، وأمره أن يقود بعض السفن الحربية إلى الواجهة البحرية الجزائرية، للقيام بعملية تضليل، وإلهاء للقوات الجزائرية، عن طريق استعراض القوة البحرية، وتنفيذ ضربات بواسطة مدفعيتها ضد قلاع وتحصينات، ومواقع العدو، لإزعاجه، وتشتيت قواته، وبهذا يتم توفير الظروف المساعدة لتنقل القوات البرية في اتجاه الجزائر بكل أمان⁽⁹¹⁾.

كانت وضعية الجيش الفرنسي، بعد منتصف نهار يوم 29 جوان كما يلي:

- الفرقة الأولى: وحدات اللواء الأول منتشرة في سطاوالي، مكلفة بحماية طرق مواصلات الجيش.

اللواء الثاني متمركز على الهضبة الموجودة أعلى عين محمود، وعلى الضفة اليسرى لوادي بني مسوس، اللواء الثالث في بوزريعة.

- الفرقة الثانية: اللواء الأول في سيدي فرج لحماية المخيم العسكري. اللواء الثاني منتشر في الجهة اليمنى من الأبيار، اللواء الثالث منتشر في الجهة اليسرى من الأبيار

- الفرقة الثالثة: اللواء الأول والثاني منتشران في مقدمة منطقة الأبيار. اللواء الثالث مكلف بمراقبة طريق القليعة، والمسالك التي تصل إلى حيدرة.

- مقر القائد العام، وضباط الأركان، وعتاد الهندسة والمدفعية في أعالي الأبيار.

- مؤخرات الجيش في بئر العلقة (Puits de la Circassienne)⁽⁹²⁾

ثامنا: حصار حصن "حسن" أو "الإمبراطور"

قبل أن نفصل في أحداث حصار حصن الامبراطور، ووصف القتال الذي دار بين الطرفين حول هذا الحصن، بودنا أن نقدم نبذة عن هذا الحصن:

يقع "حصن حسن" أو "برج الطاووس"، أو "القلعة السلطانية - قلعة سي" كما يسميها الأتراك، الواقع بمرتفع كدية الصابون المشرفة على العاصمة من ناحية الجنوب، وقد أطلق عليه الفرنسيون اسم حصن الامبراطور بعد استيلائهم عليه⁽⁹³⁾. كما كان يطلق عليه أيضا اسم "برج الإسبانيول" لأن أول من بناه هم الإسبان أثناء الحملة الفاشلة التي قادها الملك شارل الخامس ضد الجزائر⁽⁹⁴⁾.

شيد حصن الإمبراطور في موقع استراتيجي، عبارة عن مرتفع يسمح بالمراقبة، والدفاع عن الضاحية الجنوبية والغربية لمدينة الجزائر من هجمات الأعداء، وهو مبني على شكل شبه منحرف، تحيط به جدران حصينة، تسمح له بأداء المهام العسكرية الدفاعية، توجد في أعلى هذه الجدران فتحات (مزاغل) مخصصة لإخراج فوهات المدفعية، ولرمي

القنابل، موزعة على كامل جدران الحصن، حتى تضمن التغطية النارية التامة من جميع الجهات، كما توجد به فتحات تستعمل للرمي بالبنادق طويلة الماسورة، في وسط الحصن توجد بناية محصنة تستعمل لتخزين البارود⁽⁹⁵⁾. يوجد على يسار حصن الإمبراطور حصن باب عزون، وعلى يمينه حصن باب الواد، على شكل ثلاثي يحميه من جهة اليمين حصن 24 ساعة، وكذلك حصن الانجليز الذي يقع غير بعيد عنه في نفس الإتجاه، ويبعد الحصن 800 متر عن أسوار القصبة⁽⁹⁶⁾. حيث يعد حصن الإمبراطور الخط الدفاعي الأساسي والأخير عن الجزائر، وتحميه الحصون القريبة المجهزة بـ 25 قطعة مدفعية من العيار الكبير⁽⁹⁷⁾.

في مساء يوم 29 جوان 1830 تحركت القوات الفرنسية نحو مدينة الجزائر، وقد وصلت بعد مشقة، وصعوبات عديدة مع وقت المغرب بالقرب من حصن الإمبراطور.

كانت وضعية الطرفين في صباح يوم 30 جوان 1830 كما يلي:

1 - الطرف الجزائري: مع نهاية شهر جوان، لم يكن بقي من وسائل المقاومة الجزائرية، إلا حصن " مولاي حسن:" في جنوب الجزائر، وتحصينات القصبة، باعتبارهما آخر قلعتين يمكن التعويل عليهما لمواجهة الفرنسيين، والصفود أمام حشودهم، ومنعهم من اسقاط حكومة الداوي حسين، وكانت القوات الجزائرية تتواجد في وضعية صعبة، تسود صفوفها الفوضى، وعدم الانضباط، وعدم التنسيق بين الوحدات القتالية، وأنواع الأسلحة من مشاة، ومدفعية، وجنود الانكشارية، بسبب غياب قائد عام كفؤ ينظم الجيش، ويخطط للأعمال القتالية، فقد ذكر حمدان خوجة أن: " الداوي حسين كلف المفتي شيخ الإسلام، بجمع الرعية من أجل الدفاع عن حوزة الوطن، وهو رجل عادل وذو جدارة واستحقاق. ولكنه بعيد عن أن يكون رجل حرب. فيصعب عليه أن يقود جيش في وقت حرج. كما لا يستطيع أن يرد العدو"⁽⁹⁸⁾.

كما عين الخزناجي (وهو بمثابة وزير المالية، ليس له أي علاقة بالحرب، وفنون القتال) للإشراف على الدفاع عن حصن الإمبراطور، رفقة 1000 جندي من الأتراك، والعرب، وكان الداوي قد أصدر أوامره بتجهيز الحصن بعدد كبير من القنابل والقذائف والرصاص، وكمية كبيرة من البارود والذخيرة⁽⁹⁹⁾.

2 -الطرف الفرنسي: توزعت وحدات اللواء الأول والثالث من الفرقة الأولى قرب حصن الإمبراطور، بمهمة توفير التغطية والحماية للوحدات المكلفة بالحصار، ومرافقة قوافل الوحدات، وتحركاتها من المخيم العسكري بسطاوالي إلى قرب حصن الإمبراطور. شرعت الهندسة العسكرية بالتعاون مع باقي الوحدات، في إعداد وتجهيز مخيم عسكري ميداني جنوب غرب حصن الإمبراطور، بالإضافة إلى تجهيز التحصينات الهندسية، والمتاريس، كما شرعت عناصر المدفعية في تهيئة مرابض المدفعية، وقامت عناصر الصحة بتركيب وتشديد بيوت كبيرة من الحطب لاستعمالها بمثابة مستشفى لاستقبال المصابين والمرضى⁽¹⁰⁰⁾.

حينما كان أفراد الجيش الفرنسي منشغلين بالتحضيرات الهندسية، انطلقت نيران كثيفة من منزل يبعد أقل من 200 متر من مواقع الوحدات الفرنسية، مما أجبر العساكر الفرنسية إلى التراجع، وإخلاء الموقع بصفة مؤقتة، وقد أصيب العديد من الأفراد، من بينهم قائد كتيبة الهندسة الرائد شامبو (Chambaud)⁽¹⁰¹⁾.

دامت الاشتباكات، وتبادل القصف المدفعي بين الطرفين من يوم 30 جوان إلى مساء يوم 3 جويلية 1830، ولم يترك عناصر المدفعية الجزائرية قوات الهندسة العسكرية الفرنسية تشتغل في ظروف عادية لإنجاز التجهيزات التحصينية للمدفعية، والمشاة، حيث ذكر الشريف الزهار " أن الفرنسيين كانوا حينما تكثر عليهم القنابل يهربون، وإذا انقطع



علمهم الرمي يعيدون الكرة. ويرجعون لخدمة بناء الحصون، وكان هذا دأبهم ليلا ونهارا، وكانت مدافع القصبية ترمي الكور [القنابل] على هؤلاء النصارى، وعلى الذين كانوا بضريح سيدي بنور.⁽¹⁰²⁾

ذكر الجنرال ديسبراز أنه " في صبيحة يوم 3 جويلية هاجم الأتراك إحدى بطاريات مدفعية الحصار، واثخنوا في عساكرنا الذين قاوموا بشدة، حتى وصل القتال إلى حد التلاحم بالسلاح الأبيض".⁽¹⁰³⁾

3 - سقوط حصن الأمبراطور: في صبيحة يوم 4 جويلية أعطى الجنرال دولاهايت (De La Hitte) قائد المدفعية، إشارة انطلاق القنابل من جميع قطع المدفعية دفعة واحدة، وفي نفس الوقت⁽¹⁰⁴⁾، كان رد فعل رجال المدفعية الجزائرية في حصن الأمبراطور عنيفا، فقد أمطروا الجيوش الفرنسية بوابل من القنابل، وقد أظهر هؤلاء الرجال الأتراك شجاعة وفعالية كبيرة. ولم تكن القنابل تصدر من مدافع الحصن فقط، بل كان رجال المدفعية الجزائرية يرمون قنابلهم من حصن باب عزون، ومن القصبية، غير أننا لاحظنا أن وتيرة رمي القنابل بدأت في التناقص من حصن الأمبراطور بعد الساعة السابعة صباحا، ولم تبق إلا بعض البطاريات التي ترمي بقنابلها، لتتوقف تقريبا عن الرمي بعد الساعة الثامنة صباحا.⁽¹⁰⁵⁾

استمرت مقاومة الجزائريين من ساعات الفجر الأولى إلى ما بعد الساعة العاشرة من صباح ذلك اليوم، حيث أبلى فيها هؤلاء الرجال أحسن البلاء، وصمدوا في وجه التفوق المدفعي الفرنسي، لكن كثرة الإصابات في صفوفهم، وكثافة القنابل المعادية، تحطيم الأجزاء العلوية من جدران الحصن حيث لم يعد تتوفر أي وسائل حماية لرجال المدفعية، وبعد أن أصيب الحصن بأضرار بليغة، ودمرت أجزاء كبيرة منه⁽¹⁰⁶⁾.

مع بداية ظهور النقص في الذخيرة، والقنابل التي أثرت على إرادة المدافعين عن الحصن، وعلى رأسهم الخزناجي الذي يقول عنه حمدان خوجة بأنه أضاع شجاعته، واستولى عليه الرعب إلى غاية أنه ذعروني أن يغلق أبواب البرج، أما أتباعه فقد أصبحوا أكثر منه ذعرا، فراحوا يفتشون عن جميع الوسائل التي تمكنهم من الفرار بأنفسهم. ثم لما رأى الخزناجي أنه بقي وحيدا في وسط هذا الخطر المهدد، هرع في الحين إلى ذر مادة البارود في خط يربط مكان وجوده بمستودع البارود، ثم أضرم النار في المادة فتسربت إلى المستودع، فانفجر ونسف البرج. وكان من حسن الحظ أن ينفجر المستودع الصغير، دون الكبير الموجود أسفله، إذ لو انفجر هذا المستودع لكانت المدينة تقاسي أكثر مما قاسته، بسبب احتوائه على أكبر كمية من البارود⁽¹⁰⁷⁾.

بينما يرى الشريف الزهار أن كثرة، وقوة القنابل هي التي تسببت في هدم جزء من الحصن، وأن الأمر أشد على المدافعين " فمنهم من هرب، ومنهم من ألقى بنفسه من أعلى الجدار، ومنهم من تدلى بحبل، وخرج من بقي فيه" أما بالنسبة لتفجير مخزن البارود، فهو يؤكد على أن الخزناجي كان قد: " وعد بإعطاء مائة سلطاني ذهب لمن يشعل النار في خزنة البارود، فذهب رجل وأخذ قرطيل بارود من الخزنة، وأخذ يفرغ ما فيه شيئا فشيئا بصفة متواصلة من الخزنة إلى أن ابتعد عن البرج، ونفذ ما في القرطيل، فأشعل النار في البارود وهرب، وعندما وصلت النار لخزينة البارود، انفجرت، وطار ما حولها من البناء ونزل حجرها على البلاد، وبعد ذلك انقطع ضرب المدفع ساعة، ثم إن النصارى هاجموا موضع البرج، وتمكنوا منه، وأخذوا ما كان فيه من الأمتعة وغيرها من آلات الحرب والدراهم التي أخرجوها من تحت الردم"⁽¹⁰⁸⁾.

هكذا سقط حصن الإمبراطور بعد مقاومة استمرت لأكثر من ستة ساعات كاملة، لتقوم إثرها القوات الفرنسية باحتلال الحصن، ورفع الرايات والأعلام الفرنسية فوقه.

تاسعا: قنبلة مدينة الجزائر

شرع الأسطول الفرنسي في قنبلة المدينة يوم 1 جويلية، وذلك لتعزيز ودعم جهود القوات البرية، وأعاد الكرة يومي 3 جويلية، وقد كان رد فعل المدفعية الجزائرية قويا، غير أن قنابلها لم تصل إلى السفن الفرنسية لبعدها المسافة.⁽¹⁰⁹⁾ وكان الشريف الزهار قد شاهد من موقعه بحصن الإمبراطور السفن الفرنسية وهي تضرب القلاع والتحصينات الجزائرية، ويؤكد في مذكراته أن رد فعل رجال المدفعية الجزائرية كان بإطلاق القنابل من الابراج، ومن فتحات مزاغل الحصون، أجبرت السفن الفرنسية على العودة من حيث جاءت: " كانت الكور [القنابل] تنزل على الارض مثل المطر الغزير، وكان البرج يضرب السفينة واحداث بها إضرارا، وكذا غيرها من السفن، لكنهم كانوا يضربون من القلاع، أما العمارة الفرنسية فيتبع بعضها بعضا، وعندما قربت العمارة من برج الزوينة، وبرج رأس عمار، أهلكتها البرجان بالضرب، فعادت ادراجها وابتعدت عن موقع الضرب، ثم رجعت بعد ذلك بيومين أو ثلاثة أيام، وفعلت ما فعلت أولا".⁽¹¹⁰⁾

كان القائد العام للحملة قد أصدر أوامره إلى قائد الأسطول بأن تقوم مدفعية البحرية الفرنسية يوم 4 جويلية بالرمي على تحصينات مدينة الجزائر بالقنابل المتعددة العيارات، والأوزان، وذلك في نفس الوقت الذي تقوم فيه القوات البرية بالهجوم على حصن الإمبراطور. تنفيذا لهذا الأمر تنقلت كل السفن الحربية من سيدي فرج لتهاجم قلاع البحرية الجزائرية من لابوانت بيسكاد حتى باب الجديد، ورغم أن الرمي دام يوما كاملا، إلا أنه لم يكن له أي تأثير، بحيث لم تصب إلا ثلاثة أو أربعة قنابل أهدافها دون أن تسبب خسائر كبيرة.⁽¹¹¹⁾

عاشرا: احتلال مدينة الجزائر

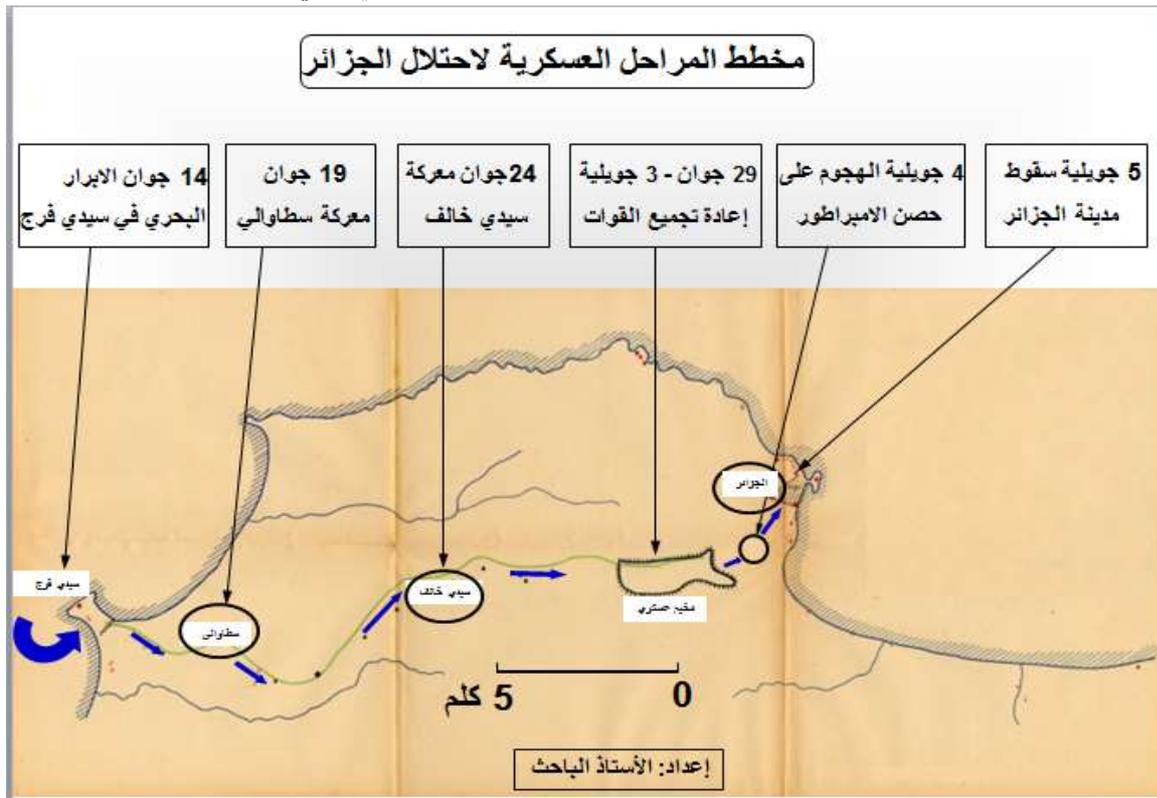
بعد سقوط حصن الامبراطور في أيدي الفرنسيين، أصبح الطريق أمامهم مفتوحا، وسهلا بحيث لم يبق لدة الجزائريين من وسائل المقاومة إلا المدافع القليلة المنصوبة على أسوار القصبية، وهي لا تعد شيئا مقابل القوة التدميرية للمدافع الفرنسية، في هذه اللحظات الحرجة يقول أحد شهود الحادث أن الداى حسين أمر بعقد اجتماع طارئ يضم وجهاء المدينة، ورجال السلطة والجيش لدراسة المستجدات، وفي نفس الوقت " أرسل وفدا يضم ناظر الديوان، وقائد البحرية، رفقة فنصل إنجلترا إلى الجنرال دو بورمون قائد الحملة ليختبروا ما في طويته، ويعلموا مقاصده، فكتب إليه أمير جيش الفرنسيين يقول له قد أمهلتك أربعة وعشرين ساعة لتتروى في تسليم القلعة طوعا، وإلا أخذناها عنوة، وعاملنا أهلها بأسوأ معاملة، فلما ورد المكتوب إلى حسين باشا وقرأه على وجوه أهل البلد انحط رأيهم جميعا على التسليم".⁽¹¹²⁾ أدى احتلال حصن الإمبراطور، ونشر البيان الفرنسي إلى التأثير السلبي في معنويات الجزائريين، وقبولهم بالهزيمة، فعقد في نفس الليلة "عدد من أعيان الجزائر من التجار، وأصحاب رؤوس الأموال اجتماعا في برج باب البحرية فاتفقوا عليهم أن خسروا مدينة الجزائر شيء محتم لا مفر منه، وأن الفرنسيين متى دخلوا بالقوة واستولوا على المدينة عنوة، فإنهم لا يكفون عن السلب والنهب، وقتل جميع السكان، بما فيهم النساء والصبيان، دون مقاومة. فمن الأحسن أن نأخذ باقتراحات الداى السلمية التي ترمي إلى إبرام معاهدة تسليم البلاد بشروط نعقدتها مع قائد الجيش الفرنسي. وفي اعتقادنا أن دولة مثل فرنسا ذات سيادة واحترام، لا تسمح لها مكانتها بمخالفة هذه الشروط أو خرق تلك المعاهدة"⁽¹¹³⁾ قام بعدها الداى حسين بالتوقيع على معاهدة مدينة الجزائر، أو ما تعارف عليها باسم " اتفاقية الاستسلام"، يوم 05 جويلية 1830، حيث تعهد فيها الداى بتسليم جميع حصون المدينة والميناء للقوات الفرنسية قبل الساعة العاشرة،

مقابل تعهد القائد العام للجيش الفرنسي بضممان حرية الداى حسين، وأن يساعده على التنقل رفقة أسرته إلى أي مكان يختار الذهاب إليه، وكذلك ضمان ممارسة الحرية الدينية للسكان، وأملاكهم وتجارتهم وصناعاتهم.

بعد توقيع الداى على معاهدة الاستسلام، احتلت الفرقة الثانية القصبة، والجزء العلوي من مدينة الجزائر، بينما احتلت الفرقة الثانية الميناء، ومقر البحرية الجزائرية، والجزء السفلي من المدينة، بينما احتلت وحدات المدفعية الحصون، واسطبلات الداى، وانتشرت وحدات الهندسة العسكرية على النقاط التي كانت تتطلب أشغال الترميم والهندسة. أما سرايا الفرسان فقد انتشرت في السهول، وعلى مرتفعات مصطفى باشا لمراقبة وتغطية طريق قسنطينة والبليدة.

الفرقة الأولى: أحتل اللواء الأول منطقة الأبيار، وبوزريعة، بينما أحتل اللواء الثاني لابوانت بيسكاد، وقلعة الانجليز، وقلعة 24 ساعة، وبرج باب الواد أو القلعة الجديدة. أما اللواء الثالث فقد توزعت وحداته بين حصن الامبراطور، والطغارة، وثكنات الجنود الإنكشارية، وقرب قنصلية السويد.⁽¹¹⁴⁾

يذكر الأميرال ديبيري قائد أسطول الحملة أنهم استولوا على " 1500 قطعة مدفعية برونزية، وأكثر من 30 سفينة منها فرقاطات، وسفن القراصنة، وزوارق حربية سواء الموجودة في الحوض المائي في البحر، أو الموجودة في ورشات التصنيع والتصليح، كما استولوا على كميات كبيرة من الأسلحة والذخيرة، وزعوها على قطعهم البحرية، واستولوا على كنز الإيالة المقدر بـ 55 مليون فرنك.⁽¹¹⁵⁾ وهذه المعلومة تؤكد أن أعداد السفن الجزائرية التي ذكرها ألبير ديفو، ناقصة.



إحدى عشر: الدروس المستخلصة

هذه جملة الدروس المستخلصة الاستراتيجية والعملياتية والتكتيكية التي استخلصناها من هذا البحث، لعلها تفيد الباحثين، والمهتمين في إثراء هذا الموضوع الذي ما زال في حاجة إلى مزيد من التقصي والتوسع:

✓ دور التصور السياسي، والعسكري لدى القيادة السياسية والعسكرية في تحضير الدولة للدفاع والحرب، وهو ما كان غائبا لدى القيادة السياسية والعسكرية لإيالة الجزائر، وعلى رأسهم الداى حسين، خاصة فيما يتعلق بدور

ومكانة القوة العسكرية (البحرية، جنود الإنكشارية، الفرسان العرب، الكراغلة...) في الدفاع والمحافظة عن المصالح العليا للدولة الجزائرية في ظل التطورات التي عرفها العالم آنذاك، وتكالب الدول الأوروبية، واتحادهم لتحطيم قوة الإيالة.

✓ إهمال القوة البحرية الجزائرية التي تعتبر العمود الأساسي لقوة الإيالة، وعدم تجديد الأسطول البحري، وعصرنته بالاعتماد على الوسائل المتوفرة، وإعادة تسليحه بأسلحة حديثة تجعله في مستوى أساطيل العدو المحتمل، خاصة بعد الخسائر التي أصابته إثر مشاركته المباشرة في الحروب المحلية ضد أساطيل الدول الأوروبية، والأمريكية، وفي الحروب الإقليمية ضمن الأسطول العثماني.

✓ هناك مقولة لأحد القادة العسكريين تقول " إذا أردت الحرب، فاستعد لها في وقت السلم"، وهذا ما لم ينطبق على حالة الجيش الجزائري، حيث أنه لم يقم بأي استعدادات لمواجهة الحملة العسكرية الفرنسية، واقتصرت التحضيرات على بعض الإجراءات، والتدابير الضعيفة التي لا تغني ولا تسمن، ولا تفيد في صد قوة صغيرة، فما بالك بحملة عسكرية تشكل من قوات عسكرية مدربة ومحترفة، مجهزة بأسطول من السفن المتنوعة، ومدفعية متعددة المهام (الميدانية، الجبلية، مدفعية الحصار...).

✓ من بين أهم الأسباب التي جعلت الجيش الجزائري لا يحقق أي انتصار رغم الشجاعة، والصمود، والجرأة التي كان يتحلّى بها الجنود الجزائريين، عدم وجود قيادة تتمتع بالكفاءة، والشخصية القوية، والقدرات التنظيمية، فقد أخطأ الداوي حسين عندما عين إبراهيم آغا قائدا للجيش الجزائري بحكم أنه صهره، رغم أنه يجهل أمور الحرب، وفنون القتال، وليس لديه أي خبرة عسكرية ميدانية في القيادة، وتسيير الرجال في القتال، إضافة إلى ذلك عدم استماعه لمشورة القادة ذوو الخبرة والتجربة، والممارسة العسكرية، واستصغاره لاقتراحاتهم، واستبداده بأرائه مما جعله يرتكب الخطأ تلو الآخر في إدارة المعارك التي خاضها ضد القوات الفرنسية، حيث كانت كل نتائجها لصالح العدو.

✓ من أسباب الهزائم المتتالية للجيش الجزائري التسبب التام في مجال الأمن، والانضباط، وعدم الالتزام بالتدابير والاجراءات المتعلقة بالمحافظة على سرية التخطيط، والمعلومات حول طبيعة وأعمال القوات الصديقة أثناء تحضير، أو تنفيذ العمليات العسكرية، فقد لاحظنا تنقل العديد من الجزائريين إلى معسكرات العدو الفرنسي، وتبليغهم بمعلومات عن توقيت الهجمات المقبلة، وعن عدد القوات الجزائرية بالتفصيل.

✓ أهمية، وفعالية تنظيم المقاومة، باستهداف الوحدات المنعزلة، وقوافل الإمداد والتموين، وذلك باستغلال معرفة رجال المقاومة لتضاريس الأرض، بما يشبه أساليب حرب العصابات في العصر الحديث، مما يؤدي إلى استنزاف قدرات العدو، وتعطيل تحركاته، والتأثير على قدراته القتالية، ومعنويات أفرادها، وهو ما يجبره على تخصيص قوات كبيرة لحماية طرق مواصلاته، وهذا الأسلوب القتالي لم يطبق إلا لفترة قصيرة من طرف مصطفى بومزراق باي التيطري، وقد ألحق خسائر كبيرة في صفوف الجيش الفرنسي.

✓ تهدف الحرب النفسية والإعلامية إلى التأثير على المعنويات التي تعد عامل أساسي في كسب الحروب، حيث يؤدي التفكك المعنوي، وانحطاط معنويات الأفراد إلى فقدان القوات للروح القتالية اللازمة، كما تؤثر على تماسك الشعب والتفافه حول قيادته السياسية والعسكرية، مما يجعلها فريسة سهلة للعدو، وقد قامت وزارة الحربية الفرنسية قبل انطلاق الحملة بطبع منشور باللغة العربية موجه إلى السكان الجزائريين، أرسلت منه مئات النسخ إلى القنصل الفرنسي في تونس لتوزيعها في الجزائر، كما قام العملاء والخونة، بتوزيعه في الجزائر عاصمة الإيالة



وضواحيها بعد الإبرار البحري في سيدي فرج، ادعى الفرنسيون في هذا المنشور أنهم قدموا لتخليص الجزائريين من الحكم التركي المستبد، وأنهم يمدون أيديهم بصفتهم أصدقاء يطلبون منهم الانضمام لهم، وقد كان لهذا البيان الدعائي تأثير كبير في نفوس العديد من الجزائريين.

✓ استفاد قادة العدو الفرنسي من تجربة نابليون بونابرت أثناء حملته على مصر، للتعامل والتفاهم مع السكان المحليين بلغتهم، وذلك من خلال الاستعانة بخدمات عدد من المترجمين سواء كانوا من الفرنسيين الذين تعلموا اللغة العربية واللهجات المحلية الجزائرية، أو من العرب المشاركة الذين سبق لهم خدمة الفرنسيين في حملة نابليون على مصر. ولعل أشهر هؤلاء المترجمين هو جورج غروي، من أصل سوري، كان في خدمة الجنرال دو بورمون قائد الحملة شخصياً، وقد تكفل بعد إبرار الجيش الفرنسي في سيدي فرج بتوزيع المنشور الدعائي الفرنسي، وكان يشجع السكان الجزائريين على التقرب من الجيش الفرنسي، والتفاوض مع قاداته، بل أنه تطوع بالذهاب إلى عاصمة الإيالة، والاجتماع مع الداي لمحاولة إقناعه بالتفاوض، حيث ضخم له القوة العسكرية للحملة، ونصحها بالاستسلام.

خاتمة:

نقول أن فرنسا استغلت الظروف الدولية والإقليمية التي كانت مواتية لصالحها، بالإضافة إلى حالة الضعف التي كانت تعيشها إيالة الجزائر، وخاصة الأضرار والخسائر التي لحقت بقوة الأسطول الجزائري. فأتخذت من حادثة المروحة ذريعة تغطي بها أطماعها الحقيقية لغزو الجزائر، فقامت بتجريد أسطول كبير لنقل القوة العسكرية الفرنسية المشاركة في الحملة، تشمل ثلاثة فرق مشاة، ولواء مدفعية، ولواء هندسة عسكرية، وفوج مشاة خفيفة، وكتيبة فرسان، ووحدات الإمداد والتموين، والصحة.

لم يكن رد فعل القوات الجزائرية قويا لصد عملية الإبرار البحري يوم 14 جوان 1830، لكن قدراته القتالية، وصموده كان أحسن خلال المعارك والإشتباكات التي حدثت بعد ذلك، مثل ما وقع في معركة سطاوالي التي انهزمت فيها القوات الجزائرية رغم البداية الموفقة والرائعة لها، وكان لسقوط حصن الامبراطور الذي يمثل نقطة الدفاع القوية عن مدينة الجزائر، أثاره السلبية على الداي وجيشه، حيث فتح الطريق أمام القوات الفرنسية إلى احتلال الجزائر.

لاحظنا أنه رغم المقاومة، والشجاعة التي أبداها الجيش الجزائري، إلا أنه لم يستطع الوقوف أمام القوات الفرنسية التي كانت تفوقه عدة وعتادا، وخبرة وتجربة في القتال بحكم أن أغلبية المساهمين في الحملة العسكرية شاركوا سابقا في الحروب التي خاضها نابليون بونابرت في القارة الأوروبية، بالإضافة إلى غياب قيادة حقيقية لدى الجيش الجزائري تستطيع إدارة الحرب بكل فعالية.

الهوامش:

- 1-Boyer Pierre. **Les Renégats et la Marine de la Régence d'Alger**. In : Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, n°39, 1985. **Les Ottomans en Méditerranée - Navigation, diplomatie, commerce**, p 97
- 2 - حمدان بن عثمان خوجة، المــــراة، تعريب: محمد العربي الزبيري، ش. و. ن. ت، الجزائر. 1983، ص 87
- 3 - أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الطبعة 3، الجزائر 1982، ص 51
- 4 - نفس المرجع، ص 52
- 5 - حمدان بن عثمان خوجة، مصدر سابق، ص 87
- 6 - أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص 65
- 7 - أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر** ط 2. دار الغرب الإسلامي. ص 301-302.
- 8 - وليام شالر، **مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا بالجزائر (1816 - 1824)**، تعريب إسماعيل العربي، ش. و. ن. ت، الجزائر 1982، ص 323.
- 9- أرجمند كوزان. **السياسة العثمانية اتجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر (1827 - 1847)**. ط 2. ترجمة عبد الجليل التميمي. تونس: بدون دار نشر. 1994. ص 32.
- 10- بوعزة بوضرساية. **الجرائم الفرنسية الجماعية في الجزائر خلال ق 19 م**. منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1954. الجزائر 2007. صص 25-27.
- 11 - Vincent Yves Boutin, **Aperçu Historique, Statistique et Topographique Sur L'état d'Alger**, 1830, p.195
- 12 - Ibidem
- 13 - Thomas Shaw, **Voyage dans la régence d'Alger**, Traduit de L'anglais par Mac Carthy Marlin, Paris 1830, p.162.
- 14 - Vincent Yves Boutin **Aperçu historique**, op.cit. p.193
- 15 - Albert Devoulx, **La marine de la régence d'Alger**, Revue Africaine, no 77, Septembre 1869, p 419
- 16 - Vincent Yves Boutin, op. cit, p.190
- 17 - Gabriel Rouquerol, **Expédition de 1830 et prise d'Alger par les Français : Organisation et Rôle de L'artillerie du Corps Expéditionnaire Berger-Levrault**, Paris 1894, p.18-19
- 18 Vincent Yves Boutin, op.cit, p.193
- 19 - Gabriel Rouquerol, op.cit, p.19
- 20- Dr.Gustave Gauthero, **Un Gentil Lhomme de Grand Chemin : le Maréchal de Bourmont (1773 - 1846)**, d'après ses papiers inédits, Paris, Les presses universitaires de France, 1926, p 381
- 21 - Gabriel Rouquerol, **Expédition de 1830**, op.cit, p. 30
- 22 - Paul Gaffarel, **La Conquête de l'Algérie Jusqu'à la Prise de Constantine**, Paris 1887, p.76
- 23 - Léon Galibert, **L'Algérie Ancienne et Moderne Depuis les Premiers Etablissements des Carthaginois Jusqu'à L'expédition du Général Randon en 1853**, Furne et Cie Editeurs 1844, p.265
- 24 - Bartillat Armand Jehannot, **Relation de la campagne d'Afrique en 1830 et des négociations qui l'ont précédée**, 2 édition. revue et augmentée. Paris, chez G. - A. dentu, 1832, p 131
- 25 - Camille Rousset, **La conquête d'Alger**, Plon, Nourrit, 2 édition, paris 1880, p.70
- 26 - Léon Galibert, op. cit, p. 268
- 27 - Baron Denniée, **Précis historique et administratif de la campagne d'Afrique**, Delaunay, Paris 1830, pp.5-6, et Léon Galibert, **L'Algérie ancienne et moderne**, op.cit, p 269
- 28 - Péllissier de Reynaud, **Annales Algériennes**. T. 1, Librairie militaire Dumaine, 1854, p 25
- 29 - Général Desprez François Alexandre, **Journal d'un officier de l'armée d'Afrique**, Anselin, Paris 1831, p.24-25
- 30- Docteur Bonnafont Jean-Pierre, **Douze ans en algerie 1830 – 1842**, éditeur libraire de la société des gens de lettres Paris 1880, p.17
- 31 - محمد العربي الزبيري، مذكرات احمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط 2، الجزائر 1981، ص 11
- 32 - الزهار، مذكرات أحمد الشريف الزهار، نقيب أشرف الجزائر، تحقيق: أحمد توفيق المدني، الجزائر، ش. و. ن. ت، 1980. ص 168
- 33 - حمدان بن عثمان خوجة، مصدر سابق، ص 149

- 36- Gabriel Rouquerol, op. cit, p 45
- 37 - Dr.Gustave Gautherot, op.cit, p 382
- 38 - Amiral Baron Duperré, **Expédition d'Afrique ; Détails sur le départ de la flotte de Toulon**, le débarquement de l'armée française et la prise d'Alger, Imprimerie Chaillot, 1830, pp.1-3
- 39 -Idem, p 3
- 40 - Pierre Berthezène, **Dix-huit mois à Alger**, ou récit des événements qui s'y sont passés depuis le 14 juin 1830, A. Ricard, 1834, p.68
- 41 - Jules Troussel, **Histoire d'un siècle 1789 - 1889**: la Révolution française, Volume 7, p 312
- 42- Pierre Berthezène, **Dix-huit mois à Alger**, op. cit, p 69
- 43- Jules Troussel Histoire d'un siècle, op. cit, p. 312
- 44- Amiral Baron Duperré, **Expédition d'Afrique**, op. cit, p.5
- 45 - Dr.Gustave Gautherot, **Un gentilhomme**, op. cit, p 384
- 46 - Amiral Baron Duperré, **Expédition d'Afrique**, op. cit, p.4
- 47 - Barchou de Penhoen, **Mémoires d'un officier d'état-major : Expédition d'Afrique**, Paris, charpentier, libraire-editeur, 1835, p.130
- 48 - Docteur Bonnafont Jean-Pierre, **Douze ans en algerie**, op. cit, p.32
- 49 - محمد العربي الزبيري، مذكرات أحمد باي، مصدر سابق، ص 12-14
- 50 - M. Fernel, **Campagne d'Afrique 1830**, 2 Edition, Théophile Barrois, 1831, p.42
- 51 – Idem, p.43
- 52 - Pierre Berthezène, **Dix-huit mois à Alger**, op. cit, p 66
- 53 - Idem, p.70
- 54 – Ibidem
- 55 – Ibidem
- 56 – Idem, p.73
- 57 - Idem, p.74
- 58 - محمد العربي الزبيري، مذكرات احمد باي، مصدر سابق، ص 15
- 59 - Marius Bourgue, **Historique du 3 e Régiment D'infanterie**, ex-Piémont, 1569 – 1891, Paris et Limoges Charles-La Vauzelle, 1894, p.350
- 60 - Fernel, **Campagne d'Afrique 1830**, op.cit., p.48
- 61- محمد العربي الزبيري، مذكرات أحمد باي، مصدر سابق، ص 15
- 62 - Docteur Bonnafont Jean-Pierre, **Douze ans en Algérie**, op.cit., p.35
- 63 - Pierre Berthezène, op. cit, p.75
- 64 – M. Fernel, op.cit., p.49
- 65 - Pierre Berthezène, op. cit, p.76
- 66 - حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، مصدر سابق، ص 153 وأنظر أيضا:
- Pierre Berthezène, op. cit, p.76
- 67 - حمدان بن عثمان خوجة، مصدر سابق، ص 155
- 68 -يسمى الدكتور أبو القاسم سعد الله، قبيلة بني جاد، أنظر: محاضرات في تاريخ الجزائر، ص 94.
- 69 - PELISSIER de Reynaud, **Annales Algériennes**. T. 1, op. cit, p.42
- 70 - Frédéric Chassériau, **Vie de L'amiral Duperré Ancien Ministre de la Marine et des Colonies**, Paris Imprimerie Nationale 1848, p.212
- 71 - مذكرات سيمون بفايفر، أو لمحة تاريخية عن الجزائر، تقديم وتعريب: د. أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر، 1974، ص 80.
- 72 - Pierre Berthezène, op. cit, p.80
- 73 - حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، مصدر سابق، ص 158
- 74 - Pierre Berthezène, **Dix-huit mois à Alger**, op. cit, p.85
- 75 - M. Fernel campagne d'Afrique 1830, p.63, et **Dix-huit mois à Alger**, op. cit, p.84



76 - حمدان بن عثمان خوجة، مصدر سابق، ص 159.

77 - Maurice Wahl, **L'Algérie**, paris, Librairie Germer Baillère et Cie, 1882, p.103

78 - Pierre Berthezène, op. cit, p.88

79 - Ibidem

80 - Frédéric Chassériau, op. cit, p.213

81 - Général Desprez, op. cit, p.121

82 - Jules Troussel, op. cit, p. 316

83 - Gabriel Rouquerol, **Expédition de 1830**, op. cit, p.57, et Général Desprez, **Journal d'un officier**, op. cit, p.121

84 - M. Fernel, op. cit, p. 75

85 - Dr. Gustave Gautherot, Un **Gentilhomme**, op. cit, p.385

86 - Général Desprez, **Journal D'un Officier**, op. cit, p. 279

87 - Idem, p. 128

88 - Idem, p. 128 et 133.

89 - Idem, p. 137

90 - Idem, pp. 139-140

91 - Frédéric Chassériau, op. cit, p 215

92 - Pierre Berthezène, op. cit, p.94

93 - عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجامعية، ط 7، الجزائر 1994، الجزء 3، ص 385

94 - مذكرات سيمون بفايفر، مصدر سابق، ص 90

95 - Gabriel Rouquerol, op. cit, p. 19

96 - Alfred Nettement. **Histoire de la Conquête d'Alger, écrite sur des Documents Inédits et Authentiques**. Nouvelle édition, Paris 1867, p.480

97 - l'Amiral Baron Duperré, op. cit, p.10

98 - حمدان بن عثمان خوجة، مصدر سابق، ص 165

99 - مذكرات سيمون بفايفر، مصدر سابق، ص 90

100 - M. ED. D'Ault-dumesnil, **Relation de L'expédition D'Afrique en 1830 et la Conquête d'Alger**, 2 Edition, Paris, Victor Palmé, 1868, pp. 301-302

101 - Idem, p.297

102 - الزهار، مصدر سابق، ص 173

103 - Général Desprez, op. cit, p.177

104 - Pellissier de Reynaud, op. cit, p. 65 - 67.

105 - Alfred Nettement, op. cit, p.421

106 - Pellissier de Reynaud, op. cit., p. 65 - 67.

107 - حمدان بن عثمان خوجة، مصدر سابق، ص 167

108 - الزهار، مصدر سابق، ص 174

109- Alfred Nettement, op. cit, p. 418

110 - الزهار، مصدر سابق، ص 174

111 - Pierre Berthezène, op. cit, p.95

112 - أحمد الجزائري، كيف دخل الفرنسيون إلى الجزائر، تحقيق صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1962، ص 31.

113 - حمدان بن عثمان خوجة، مصدر سابق، ص 169.

114 - Pierre Berthezène, op. cit, p.101

115 - Baron Duperré, op. cit, p 12

